شـــ

الأدب

أ.أناهيد بنت عي

بسم الله الرحمن الرحيم

تقدّم لكم مدوّنة (عِلْمٌ يُنْتَفَعُ بِهِ) تفاريغ من دروس الأستاذة الفاضلة

أناهيد بنت عيد السميري حفظها الله

ونسأل الله أن ينفع بها.

/https://anaheedblogger.blogspot.com

تنبيهات هامة:

- منهجنا الكتاب والسّنة على فهم السّلف الصالح.
- هذه التّفاريغ من عمل الطّالبات ولم تطّلع عليها الأستاذة حفظها الله.
- الكمال لله عزّ وجلّ، فما ظهر لكم من صواب فمن الله وحده، وما ظهر لكم من خطأ فمن أنفسنا والشّيطان، ونستغفر الله.

والله الموفّق لما يحبّ ويرضى.

الجزء الأوّل

اللّقاء الأوّل

الأحد: 28ربيع الآخر 1442 هـ

بسم الله الرّحمن الرّحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

نحمد الله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا، ونسأله بمنّه وكرمه أن يجعلنا ممّن تمسك بسنّة النبي الكريم -صلّى الله عليه وسلّم- تمسكًا مبنيًا على العلم والفقه والفهم، ومضت حياته في التعلم والعمل والتعليم لهذه السنّة المباركة فبارك الله في حياته ببركة هذا العلم وهذا العمل وهذا التعليم، نسأل الله من فضله.

إن شاء الله ستكون لنا حلقات في قراءة كتاب (الأدب المفرد للبخاري) وسنشرح فيها باختصار ما تيسر من هذا الكتاب وطريقتنا قراءة كتاب (رَشُ البَرَد؛ شَرَح الادَب المُفرَد).

ونبدأ بتعريف كتاب الأدب المفرد أولًا: وهو كتاب من الكتب التي جمعها البخاري رحمه الله، والبخاري علمٌ على رأسه نارٌ، في هذه العجالة لا حاجة لتعريفه.

وبالنسبة لكتاب الأدب المفرد: هو من أهم الكُتب التي يحتاجها المسلم، وهذه الكلمة لا نأخذها بتهاون، لأن هذا الكتاب يصف تفاصيل حياة المؤمن، وحوى رفيع الآداب ومكارم الأخلاق، أحاط بكل حياة المسلم، فجمع أحاديث الآداب والأخلاق، ونثر خلالها الآثار الواردة عن الصحابة والتابعين في ذلك، فنحن أمام كتاب جمع مسالك الحياة ابتداءً من معاملات الناس ومرورًا بمعاملات البهائم وانتهاءً بأقل سلوك يمكن أن نتصوره، نسأل الله بمنه وكرمه أن يسددنا لقراءة هذا الكتاب جميعه ونفرغ منه وننتفع به جميعًا كما يحب ويرضى.

ننقل بعض أقوال السلف في أهمية هذا الكتاب:

- من ذلك ما قاله الحافظ بن حجر -رحمه الله- في فتح الباري: «وكتاب الأدب المفرد يشتمل على أحاديث زائدة عما في الصحيح وفيه قليل من الآثار الموقوفة وهو كثير الفائدة».

فيه أحاديث زائدة على ما في الصحيح لأن شروط البخاري في قبول الحديث في الأدب المفرد أقل شدة من شروطه في الصحيح، البخاري كان له شروط، لا يكتب الحديث إلا إذا اجتمعت هذه الشروط في من ينقل عنه؛ لذلك هو أصحّ كتاب بعد كتاب الله، لكن لما أتى إلى الأدب المفرد -ولأن الأمر أوسع والناس يحتاجون إلى كثير من التفاصيل- خفّف من شروطه فخرج هذا الكتاب العظيم، وكما ذكر ابن حجر: «وهو كثير الفائدة».

لو نظرنا إلى أبوابه سنعرف أنه كثير الفائدة، الكتاب احتوى على ألف وثلاثمائة واثنان وعشرون حديثًا وأثرًا تحت ستمائة وأربعة وأربعين باب.

فيه فقه عظيم وأدب رفيع، من أبوابه: (بر الوالدين والعقوق والأدب معهما، العلاقة مع الأرحام والأولاد والجار والأيتام والخدم والمرأة، ينقل أحاديث عن الشورى والمزاح وفي آداب المدح والزيارة وفي إجلال الكبير والرحمة بالصغير، في الألفاظ المنهي عنها، في الأسماء والألقاب والكنى، في الشعر وفي الطيرة وفي العطاس والسلام).

و لا بد أن نعرف أن دراسة هذا الكتاب نشر لهذه الآداب والأخلاق في المجتمع المسلم، نسأل الله -عزّ وجلّ- أن يسددنا لهذا الأمر، ويوصلنا بأمره -سبحانه وتعالى- إلى الغاية من وراء ذلك وهي: العمل.

نبدأ بالتعريف بكتاب (رش البرد): (الأدب المفرد) هو: كتاب البخاري و(رش البرد) الذي نحن بصدد قراءته هو: شرح للأدب المفرد، وهذا الشرح تتجلى فيه كثير من الفائدة لمن يقرؤه بتأمل، وكلما زاد فهم هذه النصوص والتأمل في فوائدها كلما انتفع الإنسان في العمل، فصاحب هذا الكتاب اسمه: أبو عبد الله محمد لقمان محمد السلفي، وقد انتهى من كتابة هذا الشرح فيما يظهر في عام 1426 من الهجرة النبوية الشريفة.

هذا الكتاب شُرح بطريقة بسيطة جدًا، يسيرة وسهلة وأي أحد يستطيع أن يستفيد منها، ابتدأ بمقدمة للكتاب ثم أورد كل باب كما هو بعنوانه وسنده وحديثه الوارد، وحكم في الهامش على الحديث ثم شرح الكلمات ثم ذكر فقه الحديث: "الفوائد من الحديث تحت كل حديث".

إن شاء الله سيتبين لنا كم هذه الطريقة مفيدة خصوصًا لمن كان يريد الفهم الإجمالي، وسهولة الكتاب تجعله في متناول اليد.

بسم الله سنترك مقدمة الشارح ونبدأ مباشرة في الباب الأول:

بسم الله الرحمن الرحيم

1-بَابُ قَوْلِهِ تَعَالَى: {وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا} (العنكبوت: 8)

1/1 (صحيح) عن أبي عمرو الشيباني قال: حَدَّثَنَا صَاحِبُ هَذِهِ الدَّارِ وَأَوْمَأَ بِيَدِهِ إِلَى دَارِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: سَأَلْتُ النَّبِيَّ -صلّى الله عليه وسلّم- : أَيُّ الْعَمَلِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ قَالَ: (الصَّلَاةُ عَلَى وَقْتِهَا). قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: (ثُمَّ بِرُّ الْوَالِدَيْنِ) قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: (ثُمَّ الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ) قَالَ: حَدَّثَنِي بِهِنَّ وَلَوِ اسْتَزَدْتُهُ لَزَادَنِي.

شرحُ الكلمات:

- أحبُ إلى الله: أي يُحِبُّه الله ويرضى به أكثر من الأعمال الأخرى.
- البِرُّ: ضد العقوق وهو الإساءة إلى الوالدين وإضاعة حقوقهما.
- الجهاد: هو محاربة الكفار لإعلاء كلمة الله بالنفس والمال وبكل ما يملكه المسلم.
- ولو استزدتُه: أي لو استفسرته عن مراتب أفضل الأعمال.

بَابُ قَوْلِهِ تَعَالَى: {وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا}.

هذه الآية في سورة العنكبوت، وهذا الباب عقد ومقصده واضح في الكلام عن البر بالوالدين، وابتدأ البخاري الباب بآية، وهذا من طريقته؛ أن يعقد الباب على آية، ودلالة الآية ستتضح أكثر بالحديث وهذا أحد مقاصده أن يأتي بآية ويقول إن هذا أصل معروف في الدين وإن الله وصّى الإنسان بوالديه حُسنا وإن بر الوالدين من الأمور المحبوبة شرعًا، فقد ذُكرت في الكتاب، كما في آية العنكبوت، وذُكرت في السنّة كما في هذا الحديث الذي ذكر فيه سند نقل الكتاب عن البخاري ومن ثم ممن سمع عن البخاري إلى البخاري -في الأحاديث القادمة سنترك قراءة السند ونبتدئ من عند الصحابي مباشرة-.

يقول البخاري: عن أبي عمرو الشيباني قال: حَدَّثَنَا صَاحِبُ هَذِهِ الدَّارِ وَأَوْمَأَ بِيَدِهِ إِلَى دَارِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: سَأَلْتُ النَّبِيَّ -صلّى الله عليه وسلّم- : (أَيُّ الْعَمَلِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ).

هذا سؤال من عبد الله -رضي الله عنه- للنبي صلّى الله عليه وسلّم، وبيّن في معاني الكلمات: (أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ) أي: يحبه الله ويرضى به أكثر من الأعمال الأخرى، وهذا دليل على تفاوت الأعمال عند الله، فحين تزدحم عليك الأعمال، لا بد أن يكون عندك ميزان وهو: ما هو الأحب إلى الله؟ فتقدمه أنت أيضًا وليس ما تهواه نفسك.

لما سأل عبد الله بن عمر -رضي الله عنه- النبي -صلّى الله عليه وسلّم- هذا السؤال كان فيه إشارة إلى فقهه وعلمه ومحبته للمسارعة إلى رضا رب العالمين، فهذا السؤال بنفسه يدل على علمه، فكان الجواب من النبي -صلّى الله عليه وسلّم- قَالَ: (الصَّلَاةُ عَلَى وَقْتِهَا) هذه أحب الأعمال إلى الله وهي الصلة العظيمة التي بين العبد وربه، والعناية بوقتها دليل على إقبال الإنسان على ربه وحبه للصلة به، والمحافظة على الصلاة في وقتها دليل على معرفة الإنسان بحقيقة الحياة، لأنه في غاية الفقر إلى الله فعندما يأتي وقت الصلاة يكون بالنسبة له الوقت العظيم والمبارك والنافع من حياته، فيحمل همومه وشكواه وحاجته، أو يحمل شكره وذكره ورضاه إلى رب العالمين، فإما سعيد يشكر من أعطاه وإما في هم وغم يشتكي لمن يفرج عنه، ففي النهاية هو في غاية الحاجة إلى هذه الصلاة، النبي -صلّى الله عليه وسلّم- قال له الصلاة

على وقتها، فسأله عبد الله -رضي الله عنه- : (ثُمَّ أَيٌّ؟) دلالة على تدرج الأعمال -كما تبين- قَالَ: (ثُمَّ بِرُّ الْوَالِدَيْنِ) وهو الشاهد على الباب، وبيّن في شرح الكلمات أن البر: ضد العقوق، بيّنها بضدها، والعقوق هو: الإساءة إلى الوالدين وإضاعة حقوقهما، فهناك مرتبتين:

الإساءة: والعياذ بالله، وهي فيها تعدي على الوالدين بأخذ أموالهم وقهرهم، ويمكن أن يصل إلى أعلى من ذلك نتيجة أن دائرة الحياة تدور ويصبح الوالدين الذين كانوا أقوياء ضعفاء، ويصبح الأولاد الذين كانوا ضعفاء هم الأقوياء، فيأتي البلاء للإنسان، لما كان الأبناء ضعفاء شدة عاطفة الوالدين تجعل من الضعف سببًا لحنان الوالدين على الأبناء، وهذا أمر في الأصل فطري، لكن حين يكبر الوالدين لابد أن تحصل حالة من التعبد الشديد من أجل أن يحصل بر بالوالدين، حال ضعف الآباء ابتلاء عظيم على الأبناء، لأنه لما كان هناك ضعف للأبناء كان الوالدين بمقتضى العاطفة الشديدة والآمال الواسعة في الأبناء، كانوا يحنون عليهم ويقومون بهم بما جعل الله في قلب الوالدين، لكن حين تنقلب المسألة تصبح هناك صعوبة شديدة على الأبناء في تحمل الوالدين، هذه الإساءة إلى الوالدين.

وأمر آخر هو إضاعة الحقوق: هذا ما فيه إساءة لكن لا إحسان ولا إساءة، كأنه ليس موجود في الحياة، لا يُسيء لهم لكن لا يُحسن إليهم وهذا خلاف المطلوب، فخلاف الإحسان أمرين: الإساءة وعدم الإحسان أو إضاعة الحقوق، وهذا هو الشاهد من الحديث.

(قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: ثُمَّ الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ) وهو محاربة الأعداء لإعلاء كلمة الله بالنفس والمال وبكل ما يملكه المسلم، واليوم أعظم الجهاد نشر العلم، وإعادة هذه الأمة إلى توحيد الله الذي هو توحيد لكلمتها، فبدون توحيد الله لا توحيد لها ولا رفعة ولا عزة ولا مكانة.

كل الاقتراحات التي تأتي لأجل إعادة هذه الأمة إلى منزلتها التي كانت عليها لا شيء إذا لم تُبنَ على التوحيد، فاليوم الجهاد في سبيل الله هو إعلاء كلمة الله بنشر العلم، ببذل النفس لنشر العلم، نسأل الله أن يمن علينا بهذا وأن يجعلنا ممن يجاهد لنشر العلم، وهو من الأعمال التي يحبها الله.

في الحديث قَالَ: (حَدَّثَنِي بِهِنَّ وَلَوِ اسْتَزَدْتُهُ لَزَادَنِي.) لو استفسر ابن عمر أكثر لزاده -صلّى الله عليه وسلّم- بمراتب أفضل الأعمال، وهذا يؤكد لنا أن المسلم عنده ترتيب للأولويات وأن الشريعة ساعدت الإنسان على أنه لو تزاحمت الأمور أمامه يستطيع أن يختار ويصل في اختياره إلى أحسن الأحوال بمثل هذه الأحاديث.

المهم أننا تصورنا أن مسألة بر الوالدين من أفضل الأعمال وأنها تأتي بعد الصلاة وتسبق الجهاد، نسأل الله أن يعيننا لأن كثيرًا ما نشعر أن بر الوالدين سهل لأن والدينا سهلين، لكن هنا

مشكلة حتى في هذا الشعور، لكن في الجهة الأخرى كثير من الناس ابتلوا بوالدين ظالمين، وسيأتي في الأبواب ما يدلنا على أنه حتى لو حصل ظلم يبقى البر واجبًا، فالأمر يحتاج إلى مزيد دعاء وسؤال الله أن يوفق الإنسان إلى بر والديه.

فِقهُ الحديث:

1) الحث على المحافظة على الصلوات في أوقاتها.

وهذا مأخوذ من كون أن أول عمل ذكره النبي -صلّى الله عليه وسلّم- أنه أحب إلى الله الصلاة على وقتها.

2) فضل تعظيم الوالدين.

هنا اختار كلمة تعظيم للإشارة إلى نتيجة البر، أنت الآن تعظم الوالدين تعظيمًا حثك عليه الإسلام، تعظيم يجعل من غاياتك أن تصل إلى برهما، فهم أمامك شيء عظيم، وسيدخل في هذا كثير من المناقشات والأسئلة حول الظلم أو لو كانوا يأمرون بمعصية، نحن في أول الطريق وستأتي أبواب إن شاء الله تناقش هذه التفاصيل.

3) جواز استعمال قول "لـو" لقوله: "ولو استزدتُه لزادني".

ويقصد بذلك أن لـو في الحديث تفتح عمل الشيطان، فهل هذا معناه أنها من الألفاظ الممنوعة شرعًا؟

الجواب: لا، تكون ممنوعة إذا كان فيها تحسر على ما قد وقع من القضاء لأنها تفتح عمل الشيطان فتجعل الإنسان في ندم ووسوسة وغير مرتاح البال وليس راضيًا بما قدر الله، في هذه الحالة فقط تكون ممنوعة، وفي غيرها فهي من الكلمات المقبولة العادية.

4) إيراد الجواب على حسب اختلاف الأحوال والأشخاص هو الأنسب.

ويقصد بهذا أن النبي -صلّى الله عليه وسلّم- في مجالس متعددة سُئل عن أحب الأعمال فأجاب في كل حالة بطريقة مختلفة، فهل هذا تناقض؟ لا، حاشاه صلّى الله عليه وسلّم، إنما المقصود أن هذا العبد أنسب له كذا وهذا العبد أنسب له كذا، فيأتي رجل يقول للنبي صلّى الله عليه وسلّم: أوصني، فيقول له النبي -صلّى الله عليه وسلّم-: (لا تَغْضَبْ)[1] لماذا هذا يقول له لا تغضب؟ وهذا يقول له كما ذكر صاحب رش البرد -رحمه الله-: أن الجواب يكون على حسب الأحوال وحسب الأشخاص، وهذا هو الأنسب.

5) ثبوت تعظيم الصحابة للرسول -صلّى الله عليه وسلّم- لتوقفهم عن كثرة سؤاله صلّى الله عليه وسلّم.

لما قال: (وَلَوِ اسْتَزَدْتُهُ لَزَادَنِي) أنت تسأل لماذا لم يستزده وهو يعلم أنه لو استزاده سيزيده، فيكون الجواب: أن الصحابة يعظمون النبي -صلّى الله عليه وسلّم- ولا يشقون عليه ولذلك تجدهم في مواقف كثيرة من تعظيمهم للنبي -صلّى الله عليه وسلّم- لا يتجرؤون على كثرة سؤاله رغم ما بين الصحابة وما بين النبي -صلّى الله عليه وسلّم- فانظر إلى صاحبه الأعظم أبو بكر رضي الله عنه، وانظر إلى عمر -رضي الله عنه، وانظر إلى عثمان وعلي رضي الله عنهم أجمعين، وانظر لجميع الصحابة الكرام الذين كانوا محيطين نادرًا ما تجد أنهم سألوا النبي صلّى الله عليه وسلّم، والسبب في ذلك تعظيم النبي -صلّى الله عليه وسلّم- وعدم الإلحاح عليه، وهذا من الأدب معه صلّى الله عليه وسلّم.

6) حسن المراجعة في السؤال.

لأنه قال:(ثُمَّ أَيٌّ؟) فهذا من حسن المراجعة في السؤال، بطريقة لطيفة ويسيرة راجعه في السؤال.

7) فيه صبر المفتي والمعلم على السائل والمتعلم.

هذا أتى من وجه أن النبي -صلّى الله عليه وسلّم- يجيبه كلما سأل، وفي هذا دليل على صبر المفتي والمعلم على السائل والمتعلم، فكما أنهم -رضي الله عنهم- لا يزيدون على النبي -صلّى الله عليه وسلّم- في السؤال فكذلك النبي -صلّى الله عليه وسلّم- إذا سمح لهم بالسؤال أعطاهم

---

[1] () أخرجه البخاري (6116).

المجال وأكمل معهم بما يشفي صدورهم، فهو يصبر عليهم وهم يعظمونه وبهذا كانت حياتهم مع النبي -صلّى الله عليه وسلّم- أفضل وأحسن ما يكون.

نسأل الله بمنه وكرمه أن يجعلنا ممن يلحق بهم ونحن في أحسن حال بعيدين عن الفتن، نسأل الله -عزّ وجلّ- أن يقبضنا غير مفتونين، وأن يلحقنا بهم غير خزايا، بل مستقيمين على الطريق المستقيم، اللهم آمين.

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.

اللّقاء الثّاني

الإثنين: 29ربيع الآخر 1442 هـ

بسم الله الرّحمن الرّحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

هذا هو لقاؤنا الثاني مع قراءة كتاب: (رَشُ البَرَد؛ شَرَح الادَب المُفرَد) وهذه الأحاديث التي وردت في هذا الكتاب اعتنت بالآداب التي هي دليل امتلاء القلب بالعلم وعقدُه على العمل فإن المتأدب يتأدب بهذا الشرع، نقرأ حديثنا الذي هو موضوعنا في هذا اللّقاء، والمفروض أن نبني قراءاتنا على الاختصار ونُعجل ما استطعنا لكي نستطيع أن نُكمل قراءة الكتاب، نسأل الله أن يمد في الأعمار بصالح الأعمال.

2/2 (صحيح) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ قَالَ:

(رِضَا الرَّبِّ فِي رِضَا الوَالِدِ وسَخَطُ الرَّبِّ في سَخَطِ الوَالِدِ).

شرحُ الكلمات:

- الرضا يحصل: بموافقة المرضي عنه.
- والسخط: هو الغضب ويأتي من مخالفة المرضي عنه.

فِقهُ الحديث:

1) وجوبُ إرضاء الولد للوالد وتحريم إسخاطه.

هذا الحديث تابع للباب الذي كان في اللّقاء السابق وفيه دليل على أن النبي -صلّى الله عليه وسلّم- لم يتوقف أبدًا عن متابعة الوصايا لأصحابه -رضي الله عنهم- وهذا كله من أجل أن يوصلهم إلى رضا رب العالمين؛ ولذلك كلنا نشهد أنه -صلّى الله عليه وسلّم- أدى الأمانة، ونصح الأمة وجاهد في الله حق جهاده، فإنه -صلّى الله عليه وسلّم- قد وصى أهل الإسلام بوصايا توصلهم إلى رضا الله -عزّ وجلّ- وتبعدهم عن سخط الله وعقابه، لقد أرشد المؤمنين جميعًا بما به يفوزون في الدنيا والآخرة، نشهد أنه -صلّى الله عليه وسلّم- أدى الرسالة ونصح الأمة وجاهد في الله حق جهاده.

هذا الحديث فيه وصية عظيمة وفيه أن رضا الرب في رضا الوالد وسخط الرب في سخط الوالد، وفي رواية: (رِضا الربِّ تبارك وتعالى في رضا الوالدَينِ)[2].

بمعنى أن إرضاء الوالدين سبيل لرضا الله -عزّ وجلّ- فإذا حصل رضا الوالدين، عفا الله وغفر لهذا الإنسان.

[2]() حسّنه الألباني.

كيف يصل الإنسان إلى رضا الوالدين؟

بالإحسان إليهما والقيام بخدمتهما وترك عقوقهما حتى يرضيا عن ابنهما شريطة أن تكون هذه الطاعة التي تحصل من الابن فيما يرضي الله -عزّ وجلّ- لا فيما يسخطه سبحانه وتعالى، لأنه معلوم أنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، وستأتي إن شاء الله إشارات في سورة لقمان: {وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي}[3] هذا من جهة، ومن جهة أخرى أن سخط الله -عزّ وجلّ- في سخط الوالدين، وهذه رواية ثانية.

إذا أساء المرء إلى والديه بالقول أو الفعل -وحق الوالدين يأتي بعد حق الله- فهذا يسبب سخط الله عزّ وجلّ، فنعوذ بالله من سخطه ومن أسباب سخطه، الإنسان يبذل جهده ما استطاع إلى ذلك سبيلًا وأمام عينيه الإخلاص، فالوالدان لا يرضيان ولا يبعد عن سخطهما إلا طلبًا لرضا الله عزّ وجلّ، لا بد من الإخلاص، إذا حصل رضا الله حصلت الجنة، حصل النعيم المقيم في جنات النعيم، حصل القرب من الله الرحيم الرحمن؛ فلذا نوع من أنواع الجهاد أن تصل إلى برهما، وأنت افعل ما تستطيع، لأنه دائمًا يأتي سؤال في هذا الأمر: ماذا أفعل وأنا مهما فعلت لهم لا يرضون؟! وهذه ابتلاءات يُبتلى بها الإنسان أن نفسيات الوالدين قد لا تكون سوية تمامًا، أو تكون متطلعة وطامعة ومحبة للدنيا، وهذا كله يمكن أن يكون في الوالدين لأنهم بشر، فماذا نفعل؟ نسدد ونقارب، لكن في هذا كله نسأل الله أن يقبل لنا هذا العمل، وفي كل هذا يكون مقصدنا رضا رب العالمين.

وفي كل هذا ندعو ربنا أن يرزقنا برهما، كما بين في فقه الحديث: "وجوب إرضاء الولد للوالد وتحريم إسخاطه" وكما سنفهم من الحديث الثاني "الوالد" المقصود به: "الوالدين" ومما يؤكد أن المقصود به الوالدين، أنه بعد أن ذكر الكلام عن الوالدين في الباب الماضي، سيأتي بباب يخص فيه الأم:

2- بَابُ بِرّ الأمّ.

3/3 (حسن) عَنْ بَهْزِ بْنِ حَكِيمٍ، عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! مَنْ أَبَرُّ؟ قَالَ: (أُمَّكَ) قُلْتُ: مَنْ أَبَرُّ؟ قَالَ: (أُمَّكَ) قُلْتُ: مَنْ أَبَرُّ؟ قَالَ: (أُمَّكَ) قُلْتُ: مَنْ أَبَرُّ؟ قَالَ: (أباك، ثم الأقرب، فالأقرب).

[3] () لقمان: 15.

شرحُ الكلمات:

- البِـرُ: هو الإحسان.
- ثم الأقرب فالأقرب: أي إلى آخر من هم من ذوي الأرحام.

فِقهُ الحديث:

1) وجوب بر الوالدين وتحريم عقوقهما.

2) تقديم رضا الأم على رضا الأب. الأم تفضل على الأب في البر ثلاث مرات لأنها تحمل تعب الحمل ومشقة الوضع ومحنة الرضاع.

3) الحث على بر الأقارب حسب ترتيبهم في القرب.

هذا الباب ابتدأ بباب: (بِـرّ الام) وأورد حديث فيه أن بهز بن حكيم يحكي عن أبيه عن جده، وجده يكون معاوية بن حيدة القشيري -رضي الله عنه- يقول إنه سال النبي -صلّى الله عليه وسلّم- عن من أولى الناس بالإحسان إليه والبر في مصاحبته له، فأجابه النبي -صلّى الله عليه وسلّم- نفس الإجابة ثلاث مرات ثم انتقل من الأم إلى الأب، ثم الأقرب فالأقرب.

معنى هذا الحديث: أن أولى الناس بحسن المعاملة والبر وطيب المعاشرة هي الأم، وأكد في حسن المعاملة ثلاث مرات بيانًا لفضلها على سائر الأقارب دون استثناء، ثم بين من يليها في البر وهو الأب، لكن عندما ينتقدون الشريعة ومكانة المرأة لا يأتوا بهذا الحديث، لا يقولون أن في الإسلام أولى الناس بصلتك ذكرًا كان أو أنثى هي أمك، والنبي -صلّى الله عليه وسلّم- كرر ذلك ثلاث مرات، وذكر حق الأب مرة واحدة، هذا الأمر واضح من جهات عدة، وقد نشأ ناشئة أهل الإسلام وهم يحفظون هذا الحديث ويفهمونه، ولا بد من الإعادة والإزادة حوله.

من تبر أيها الإنسان هم والديك، وكما مر معنا البر هو: "الإحسان"، لذا أتى في فقه الحديث: (وجوب بر الوالدين وتحريم عقوقهما) لأنهما هما الذين يفترض أن تكون بارًا بهما.

وذكر أيضا في فقه الحديث: (تقديم رضا الأم على رضا الأب. الأم تفضل على الأب في البر ثلاث مرات) وعلل ذلك: (لأنها تحمل تعب الحمل ومشقة الوضع ومحنة الرضاع) أفضالها على ولدها أعظم، كثرة ما تحملته من المتاعب الجسمية والنفسية أثناء حملها به ووضعه وإرضاعها له وخدمتها له وشفقتها عليه، ثم يأتي من بعده،

في هذا نتصور أن الأمر معلل عقلًا، لماذا الأم ثلاث مرات؟ بالعقل نعرف لماذا الأم ثلاث مرات.

ثم (الحث على بر الأقارب حسب ترتيبهم في القرب) يقصد بذلك قول النبي: (ثم الأقرب، فالأقرب) وهذا دليل على أن الشريعة تطلب منك ترتيب الأولويات كما تبين لنا، حتى في الإحسان فهناك ترتيب للأولويات، لكن ترتيب الأولويات لا يعني قطع الأرحام، وهنا ندخل في مشاكل كثيرة من جهة أن الوالدة في أحيان كثيرة نتيجة تصلب رأيها ونتيجة تجارب مرت بها قد تربط برها بقطع الأرحام، وعلى الأبناء أن يحتالوا بقدر ما يستطيعون لأجل الجمع بين برها وصلة الرحم. فالحديث يقول فيه النبي -صلّى الله عليه وسلّم-: (ثم الأقرب، فالأقرب) فلم يقصد فقط بر الوالدين.

4/4 (صحيح) عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّهُ أَتَاهُ رَجُلٌ فَقَالَ: إِنِّي خَطَبْتُ امْرَأَةً، فَأَبَتْ أَنْ تَنْكِحَنِي، وَخَطَبَهَا غَيْرِي، فَأَحَبَّتْ أَنْ تَنْكِحَهُ، فَغِرْتُ عَلَيْهَا فَقَتَلْتُهَا، فَهَلْ لِي مِنْ تَوْبَةٍ؟ قَالَ: أُمُّكَ حَيَّةٌ؟ قَالَ: لَا. قَالَ: تُبْ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَتَقَرَّبْ إِلَيْهِ مَا اسْتَطَعْتَ. قال: عطاء بن يسار: فَذَهَبْتُ، فَسَأَلْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ: لِمَ سَأَلْتَهُ عَنْ حَيَاةِ أُمِّهِ؟ فَقَالَ: (إِنِّي لَا أَعْلَمُ عَمَلًا أَقْرَبَ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ بِرِّ الْوَالِدَةِ).

شرحُ الكلمات:

- خطبتُ امرأة: دعوتُها إلى الزواج.
- غِرتُ: كرهت مشاركة الغير فيمن أحببتها والغيرة هي: الأنفة والمحبة.
- أُمُّكَ حَيّة: بحذف أداة الاستفهام، أي: هل أُمُّكَ حَيّة حتى تتقرب إلى ربِّك بِبِرّها؟

هذا الحديث كما نرى أثر عن ابن عباس -رضي الله عنه- وليس حديثًا عن النبي صلّى الله عليه وسلّم، سنرى فقه ابن عباس الآن الذي فيه ما يشير إلى بر الوالدين وخاصة الأم لأننا في باب بر الأم.

هذه القصة فيها أن رجل أتى ابن عباس وقال له: (إِنِّي خَطَبْتُ امْرَأَةً، فَأَبَتْ أَنْ تَنْكِحَنِي) ذهب إليها وطلبها بالطريقة الشرعية وهي رفضته، ثم أتى غيره وخطبها فوافقت عليه، فكان موقف الرجل أنه غار عليها، كان يحبها فكره أن يشاركه غيره فيها، فكان عنده إما تتزوجيني أو أقتلك، فقتلها! وهذا أمر لا بد أن يُفهم، نسأل الله أن يكفينا الشر.

الشاهد: أن توبته سترتبط بالبر، هذا قتل نفس معصومة، وحكم قتل النفس المعصومة في الشريعة غاية في التعظيم، غاية في التأكيد، وهو من الذنوب العظيمة جدًا التي وصل فيها التشديد أن يكون الذي يقتل النفس في نار جهنم، وأتى أيضًا أنه خالدًا فيها فهل له توبة؟ ابن عباس قال له: (أُمُّكَ حَيَّةٌ؟) قال: لا، قال: (تُبْ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَتَقَرَّبْ إِلَيْهِ مَا اسْتَطَعْتَ) هو أتى نادمًا على فعله، فأرشده ابن عباس إلى أن يتوب إلى الله وأن يتقرب ما استطاع وسيتبين أين الشاهد الآن...

عطاء بن يسار حضر هذا الموقف وسمع ابن عباس يقول للرجل: (أُمُّكَ حَيَّةٌ؟) فلما قال له: (لا) أرشده إلى الطريق الثاني: (أن تُبْ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَتَقَرَّبْ إِلَيْهِ مَا اسْتَطَعْتَ) فذهب إلى ابن عباس وسأله ما الذي كان سيكون لو كانت أمّه حية؟ فقال: (إِنِّي لَا أَعْلَمُ عَمَلًا أَقْرَبَ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ بِرِّ الْوَالِدَةِ).

المعنى: أن لو كانت أمّه حية سيطلب منه أن يتوب إلى الله وأن يبرّ أمّه لأن بر الأم من أعظم الأعمال التي تكون كفارات، يريد ابن عباس أن يقول له: تب واعمل صالحات، لكن يريد أن يرشده إلى أعظم الأعمال الصالحات التي تكفر بها سيئاته، فقال: (أُمُّكَ حَيَّةٌ؟) بحذف أداة الاستفهام، يعني: هل أمّك حيّة حتى تتقرب إلى ربك ببرها؟ ومن ثمّ يكفر عنك سيئاتك، وهذا من فقه ابن عباس في كونه:

- أولًا: يرى أن قاتل النفس لا يخرج من الملة، وإنما شدد عليه في الآيات تعظيمًا لحق النفس، تعظيمًا للدماء.
- ثانيًا: فقهه في إرشاده إلى قاعدة: "إن الحسنات يذهبن السيئات" ومن ذلك إرشاده إلى التوبة والعمل الصالح.
- ثالثًا: من فقهه أن أعظم الحسنات، بعد توحيد الله، هي بر الوالدة.

فِقهُ الأثر:

1) جواز خطبة الرجل لامرأة يريد زواجها.

من الحكاية، ابن عباس لم ينكر عليه وقال له لماذا أحببتها وأحببت أن تخطبها؟

2) إنكار المخطوبة الزواج معه إن لم ترض به.

جواز أن تنكر المخطوبة الزواج، يعني: ترفضه إن لم ترض به، فمن حقها شرعًا ألا ترضى، وهذا واضح بدليل أنه قال في الأثر: (فأبت أن تنكحني).

3) قد يهيج غضب الرجل لمشاركة الغير في المحبوب.

وهنا يقصد: أنه ليس من حقه لكن يحصل مثل هذا، ومثل هذا يحصل أحيانًا في عضل المرأة وفي تصرفات للمطلق مع طليقته، يطلقها وفي نفس الوقت يضيق عليها بحيث أنها لا تتزوج غيره، وهذا كله أظهره الأثر، الأثر أظهر أن الرجل قد يكون بهذه النفسية وعلاجه يكون بالطرق الشرعية، وهذا ليس دليل أنه يحق له، هو أذنب ذنبًا عظيمًا لما قتلها، ولا يحق له أن يهيج غضبه بحيث يصل إلى هذا، لكنه يشير إلى أن هذا الشيء يحصل فلا تستنكره.

4) يُنصح القاتل بتوبة نصوح والتقرب إلى الله ما استطاع.

وهذه الفائدة لها تفاصيلها لأن الأصل أنه إذا وقع القتل وطلب الدم، فالتوبة النصوح تكون بينه وبين ربه، هذا الكلام لا علاقة له بإقامة الحد التي يمكن أن تكون موجودة لا إشكال فيها، والنصيحة تكون بين القاتل وبين ربه، فكأنه يقول: لا تُيئس القاتل من رحمة الله حتى لو قتل، وحتى لو أقيم عليه الحد، يبقى هناك عمل من قلبه وهو التوبة إلى الله.

5) بر الأم يقرب الإنسان العاصي إلى الله تعالى أكثر من الطاعات الأخرى.

كما تبين أن الحسنات يذهبن السيئات؛ لذا ابن عباس سأله هذا السؤال لأن العاصي أول ما يستفيق من معصيته فليمح السيئة بالحسنة.

3-بَابُ بِرِّ الابِ

5/5 (صحيح) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! مَنْ أَبَرُّ؟ قَالَ: (أُمَّكَ). قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: (أُمَّكَ). قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: (أمَّكَ). قال: ثمَّ مَنْ؟ قال: (أباكَ).

وعن أبي هريرة أَتَى رَجُلٌ نبيَّ الله صلّى الله عليه وسلّم، فقال: ما تأمُرُني؟ قال: (بِرَّ أُمَّكَ)، ثم عادَ فقال: (بِرَّ أُمَّكَ)، ثم عادَ فقال: (بِرَّ أُمَّكَ)، ثم عادَ الرابعةَ، فقال: (بِرَّ أباكَ).

شرحُ الكلمات:

- أباك: منصوب بفعل محذوف أي: بر أباك.

هذان الحديثان فيهما نفس الدلالة الماضية، بعد أن ذكر في الباب الأول بر الوالدين فصل بابين، باب: (بِـرّ الام) وأتى بأحاديث على نفس مفهومها أتى بأحاديث باب: (بِـرّ الاب) بنفس الدلالة وإن كان فيها اختلاف في السند بين الأحاديث الماضية في باب (بِـرّ الأم) لأن جد بهز بن حكيم الشبرمي هناك وهنا عن أبي هرير وفيه نفس الترتيب، قال: (مَنْ أَبَرُّ؟ قَالَ: أُمَّكَ) وكرر بالأم ثلاث مرات ثم أتى بالأب، والحديث الثاني أيضًا فيه نفس الدلالة.

فِقهُ الحديثين:

1) الوصية للأم ثلاث مرات لضعفها وحاجتها وتحملها العبء الثقيل للحمل والوضع والرضاع.

2) الأم مقدمة على الأب بثلاث درجات.

3) الأم والأب أحق بالبر من غيرهما من الأقارب ثم الأقرب فالأقرب.

هذا كله واضح والحمد لله.

4-بَابُ بِرِّ وَالِدَيْهِ وَإِنْ ظَلَمَا

7- حَدَّثَنَا حَجَّاجٌ، قَالَ: حَدَّثَنَا حَمَّادٌ هُوَ ابْنُ سَلَمَةَ، عَنْ سُلَيْمَانَ التَّيْمِيِّ، عَنْ سَعِيدٍ الْقَيْسِيِّ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: (مَا مِنْ مُسْلِمٍ لَهُ وَالِدَانِ مُسْلِمَانِ يُصْبِحُ إِلَيْهِمَا مُحْتَسِبًا، إِلَّا فَتَحَ لَهُ اللَّهُ بَابَيْنِ -يَعْنِي: مِنَ الْجَنَّةِ- وَإِنْ كَانَ وَاحِدًا فَوَاحِدٌ، وَإِنْ أَغْضَبَ أَحَدَهُمَا لَمْ يَرْضَ اللَّهُ عَنْهُ حَتَّى يَرْضَى عَنْهُ، قِيلَ: وَإِنْ ظَلَمَاهُ؟ قَالَ: وَإِنْ ظَلَمَاهُ).

شرحُ الكلمات:

- يُصبحُ إليهما: يمشي إليهما صباحًا للإيناس.
- محتسبًا: ناويًا الأجر والمثوبة إلى الله.
- وإن ظلماه: أي بالأمور الدنيوية.

هذا باب: (بِرِّ وَالِدَيْهِ وَإِنْ ظَلَمَا) يعني: إن وقع من الوالدين ظلم على الابن، وفيه: أنه ما من مسلم له والدان مسلمان يمشي إليهما صباحًا للإيناس، الآن هناك طرق أسهل من أن يمشي إليهما، يؤنسهما صباحًا -يصبح عليهما، (محتسبًا) وهذا شرط مهم جدًا في أي عمل حتى في البر، ما يقصد والديه، يقصد رب العالمين -والوالدان وسيلة للوصول إلى رب العالمين- إلا فتح الله له بابين في الجنة، وإن كان واحد فواحد، هذا بالنسبة لحصول الإيناس.

(وَإِنْ أَغْضَبَ أَحَدَهُمَا لَمْ يَرْضَ اللَّهُ عَنْهُ حَتَّى يَرْضَى عَنْهُ) وإن ظلماه في الأمور الدنيوية، مثلًا: قدموا عليه غيره من الأبناء أو أخذوا منه مال أكثر، لكن هذه المسألة لا بد أن نعرف أن ما فيها تكليف ما لا يطاق، وهناك حد شرعي، هذا الحديث (حسن بطرق) لكن لا بد أن نعرف أن الشرع يمنع الظلم، فأنت تفعل ما تستطيع وإن وصل الأمر إلى درجة عدم الاستطاعة فأنت في هذا -إن شاء الله- غير مكلف ولا مؤاخذ.

فِقهُ الأثر:

1) بر الوالدين طريق مُمهَّد إلى الجنة.
2) عقوق الوالدين موجب للنار.
3) رضا الله موقوف على رضا الأبوين.
4) بِرُ الوالدين والإحسان إليهما واجب وإن ظلماه في الأمور الدنيوية.
5) الحديث ضعيف سندًا ولكن المعنى الذي ورد فيه صحيح في الجملة.

ولنتذكر أن هذا كلام ابن عباس، هذا أثر وفي الأثر أن بر الوالدين طريق ممهد إلى الجنة كما هو واضح، والعكس أيضًا صحيح وهو أن عقوق الوالدين موجب للنار، هو عقد الباب ليبين أنه حتى لو حصل الظلم، أحيانًا يكون هذا الابن نشيط والآخر كسول فحين يطلبون من الكسول يتعبهم فيطلبوا من النشيط، فيصبح النشيط هو دائمًا المطلوب منه والكسول لا يفعل

شيئًا! فيشعر النشيط بالظلم لأنه يشعر أنه مرهق، فيقال: وإن ظلما لا بأس، أنت مبتلى بهذا؛ لكن نؤكد هنا أنه على ما تستطيع وتطيق وليس أعلى مما تطيق لأن الظلم في الأصل محرم.

وفي النقطة الخامسة قال: (الحديث ضعيف سندًا ولكن المعنى الذي ورد فيه صحيح في الجملة) ومن أجل ذلك علينا أن نعود إلى الأصول الشرعية التي تمنع الوالدين والناس جميعًا من الظلم، والتي نفهم منها أن الله لا يكلف نفسًا إلا وسعها، فحين يصل الإنسان إلى حد أنه لا يستطيع أن يحتمل فليحتال قدر ما يستطيع من أجل ألا يتعرض إلى ضغوط تجعله بعد ذلك عاقًا لكن يسدد ويقارب ما استطاع.

بهذا نكون انتهينا من هذه الجلسة، ونلتقي إن شاء الله في الجلسة القادمة.

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

اللّقاء الثّالث

الثلاثاء: 30ربيع الأخر 1442 هـ

بسم الله الرّحمن الرّحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

نحمد الله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا ونسأله بمنه وكرمه أن يجعلنا ممن تمسك بالسنة علمًا وعملًا واعتقادًا وتعليمًا اللهم آمين.

لا زلنا بفضل الله في قراءة كتاب: (رَشُ البَرَد؛ شَرَح الادَب المُفرَد) وقد وصلنا إلى الباب الخامس في جلستنا الثالثة.

5-بَابُ لِينِ الْكَلامِ لِوَالِدَيْهِ

8- حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ، قَالَ: حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، قَالَ: حَدَّثَنَا زِيَادُ بْنُ مِخْرَاقٍ قَالَ: حَدَّثَنِي طَيْسَلَةُ بْنُ مَيَّاسٍ قَالَ: كُنْتُ مَعَ النَّجَدَاتِ، فَأَصَبْتُ ذُنُوبًا لا أَرَاهَا إِلَّا مِنَ الْكَبَائِرِ، فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِابْنِ عُمَرَ قَالَ: مَا هِيَ؟ قُلْتُ: كَذَا وَكَذَا، قَالَ: لَيْسَتْ هَذِهِ مِنَ الْكَبَائِرِ، هُنَّ تِسْعٌ: الإِشْرَاكُ بِاللَّهِ، وَقَتْلُ نَسَمَةٍ، وَالْفِرَارُ مِنَ الزَّحْفِ، وَقَذْفُ الْمُحْصَنَةِ، وَأَكْلُ الرِّبَا، وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ، وَإِلْحَادٌ فِي الْمَسْجِدِ، وَالَّذِي يَسْتَسْخِرُ، وَبُكَاءُ الْوَالِدَيْنِ مِنَ الْعُقُوقِ. قَالَ لِي ابْنُ عُمَرَ: أَتَفْرَقُ النَّارَ، وَتُحِبُّ أَنْ تَدْخُلَ الْجَنَّةَ؟ قُلْتُ: إِي وَاللَّهِ، قَالَ: أَحَيٌّ وَالِداكَ؟ قُلْتُ: عِنْدِي أُمِّي، قَالَ: فَوَاللَّهِ لَوْ أَلَنْتَ لَهَا الْكَلامَ، وَأَطْعَمْتَهَا الطَّعَامَ، لَتَدْخُلَنَّ الْجَنَّةَ مَا اجْتَنَبْتَ الْكَبَائِرَ.

شرحُ الكلمات:

- النَجَدات: أصحاب نجدة بن عامر الخارجي، وهم قوم من الحرورية.
- الكبائر: هي الذنوب التي ورد فيها حدّ أو وعيد شديد.
- الإشراك بالله: اتخاذ غيره تعالى إلهًا.
- النَسمة: الروح.
- الزَّحْف: القتال في سبيل الله.
- قذف المحُصَنة: اتهام العفيفة بالزنا.
- الإلحاد: التجاوز عن حدود الله واختيار سبيل الشرك والبدعة.
- يستسخر: الاستسخار من السُخرية وهو الاستهزاء من إنسان والضحك عليه وإضحاك الناس منه.
- أتفرَق من النار: الفَرَق، الخوف والفزع.

- ألنتَ: أي خَفَضْتَ صوتك وكلَّمتهَا باللطف وعذوبة اللسان.

اسم الباب: (لِينِ الْكَلامِ لِوَالِدَيْهِ) وسيأتي هنا أثر عن ابن عمر -رضي الله عنه- لنفهم هذا الأثر والشاهد نحتاج أن نفهم أن هذا الأثر يدور حول مسألة اجتناب كبائر الذنوب والنصح في الابتعاد عنها لأنها موبقة تهلك صاحبها وتعرضه لغضب الله.

في هذا الأثر أن رجلًا يقال له طيسلة واسمه: (علي بن مياس) قال: (كُنْتُ مَعَ النَّجَدَاتِ) كنت أقاتل معهم وهم فرقة من الخوارج، وهذا في الزمن الذي كان فيه الخوارج أعظم فتنة فُتن فيها المسلمين في أيام ابن عمر، والنجدات أتت من اسم نجد بن عامر الخارجي صاحب الفرقة ورئيسها، يقول: (فَأَصَبْتُ ذُنُوبًا لا أَرَاهَا إِلَّا مِنَ الْكَبَائِرِ) ارتكبت أمور كنت أظن أنها من الكبائر المحرمة، وهنا يتبين لنا كيف أن تفكيره تأثر بالخوارج حتى لما خرج منهم، أخبر ابن عمر بذنوبه ليعرف حكمها وهو يظن أنها من الكبائر، قال: ابن عمر وما هي؟ فعدد علي بن مياس وأعلمه بها، فقال له ابن عمر: ليست هذه من الكبائر، الرجل ظنها من الكبائر لأن هذه ملة الخوارج التي يُمكن أن يصاب بها الإنسان وهو لا يشعر، يستعظم أمورًا معينة ويشعر كأنه خرج من الملة في تعظيم هذه الذنوب، حتى لو كانت من الكبائر لا تخرج من الملة، وباب التوبة مفتوح؛ ملة الخوارج وطريقتهم في النظر للأمور وتفكيرهم مناسبة جدًا لأهل الوسواس الذين يفاجئونك بخوف شديد لكن ليس في مكانه، خوف يؤدي إلى القنوط من رحمة الله ويقدرّون الأمور بغير قدرها.

قال له ابن عمر: هذه ليست من الكبائر والكبائر تسع، المقصود بها: "الذنوب العظيمة"، وقد ورد أنها سبع وأنها أقرب إلى سبعمائة وأنها تحد ولا تعد، الكبائر أصلًا كل ذنب أطلق عليه في القرآن أو السنة الصحيحة أو الإجماع أنها كبيرة أو أنه ذنب عظيم، أو أخبرنا بشدة العقاب أو أن فيها حد أو شُدد النكير على فاعله أو ورد في فاعله لعن، وهذا واضح في لقاءات الكبائر وقد مرت معنا المناقشة حول حدها.

فعدّ له ابن عمر التسع:

أن يجعل الإنسان مع الله إلهًا آخر.

وقتل النفس التي حرم الله -عزّ وجلّ- قتلها وهي غير مستحقة للقتل.

والهروب عند لقاء العدو.

ورمي العفيفات البريئات من الفاحشة بالزنا والفاحشة دون بيّنة.

والتعامل بين الناس بالزيادة على أصل الديون والقروض وكل أشكال الربا المعروفة.

والاعتداء على أموال اليتامى بإضاعتها وتبذيرها وإدخالها في مشاريع تُفسد عليهم أموالهم.

وأن يفعل في البيت الحرام ما لا يكون حلالًا من الصيد وقطع الأشجار أو -الله يعيذنا ويحفظ ديارنا وديار المسلمين ويحفظ الحرم المكي والمدني ويحفظ بيت المقدس ويحفظ جميع مساجد المسلمين- استحلاله بالتخريب والترويع والقتل، وهذا في ملة الخوارج دين، فإنهم قد قتلوا علي -رضي الله عنه- وهو خارج إلى صلاة الفجر، وقتلوا غيره من الأصحاب الكرام وهم قريبون من مساجدهم، فهو -والعياذ بالله- عندهم دين؛ لذلك تجدهم في هذا العصر الحديث في صلاة الجمعة يفجرون مساجد المسلمين -سبحان الله- وتصوروا هذه البرامج الكثيرة التي كانت أولًا تحتاج إلى مستوى معين من القدرات والإمكانيات، من أجل أن يعملوا مقالب وأمور يستهزؤون بها بالناس، واليوم أصبح على المستوى الفردي ويشتهر بها ويتابعه الناس، من الكبائر الذي يستسخر، وهو السخرية من الناس، تصور أنها كبيرة من كبائر الذنوب!

والشاهد الأول: هو بكاء الوالدين من العقوق، يعني يتسبب في بكائهما، معصية الأب والأم المسلمين ومخالفة أمرهما إلى حد الوقوع بالبكاء، ونربط هذا بالكلام السابق، أحيانًا يكون بكاءهما للتأثير من أجل الضغط على الأبناء، أنت تعرف الميزان، أحيانًا لا يكون لهم حق فيما يفعلون ويريدون من الابن أن يقع في كبيرة أو في ظلم، أو يعرضانه لأمر خطير، أحيانًا بعض الآباء يطلب من ابنه أن يقوم بقروض ربوية ليشتري شيء، فهذا لا يحق له، بل هذا معصية وحتى إن بكى لا يحق له.

قال ابن عمر لطيسلة: أتخاف من النار يوم القيامة وتحب أن تدخل الجنة؟ قال: إي والله، وهذا قسم بالله أنه يخاف من النار ويحب أن يدخل الجنة.

الشاهد الثاني: على عنوان الباب وهو "لين الكلام" فوالله لو ألنت لها الكلام بالترقق في الكلام وعدم الغلظة وتعطيها مما تملك وتتكفل بطعامها، يكون هذا سببًا في دخولك الجنة ما لم تقع في كبيرة من الكبائر المذكورة والكبائر لا بد فيها من التوبة وعدم العودة مثل أي ذنب يجب علينا فيه أن نحقق شروط التوبة، بهذا نكون فهمنا هذا الأثر، وفهمنا معاني الكلمات، والحرورية يقصد الخوارج.

فِقهُ الأثر:

1) عقوق الوالدين من كبائر الذنوب وإذا بكيا من شدة العقوق فهو أشدّ وأنكى.

هذا كان واضح من جملة: (وَبُكَاءُ الْوَالِدَيْنِ مِنَ الْعُقُوقِ).

2) بر الوالدين والقول لهما قولًا لينًا من أقوى أسباب الدخول للجنة.

وهذا واضح: (فَوَاللَّهِ لَوْ أَلَنْتَ لَهَا الْكَلامَ، وَأَطْعَمْتَهَا الطَّعَامَ، لَتَدْخُلَنَّ الْجَنَّةَ مَا اجْتَنَبْتَ الْكَبَائِرَ.)
وهذا الحمد لله ظاهر وواضح. ننتقل في نفس الباب:

9- حَدَّثَنَا أَبُو نُعَيْمٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ:
(وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ) (الإسراء: 24) قَالَ: (لا تَمْتَنِعْ مِنْ شَيْءٍ أَحَبَّاهُ).

شرحُ الكلمات:

- {وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ}: كناية عن غاية التواضع ولين الجانب.

هنا بيان عن هشام بن عروة عن أبيه في قوله تعالى: {وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ}، آية الإسراء التي هي من الوصايا، في الوصايا الأمر بخفض الجناح من ضمن هذه الوصايا، "خفض الجناح" فيه كناية عن غاية التواضع ولين الجانب لأن في الآية: {وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا} المقصود: تذلل لهما وتواضع؛ لأن هنا استعارة مكنية، فشبه الذل بطائر وأثبت له الجناح، ثم أُمر بالخفض، والخفض: حالة يفعلها الطائر إذا ضم أفراخه للتربية، يضم جناحيه على أفراخه الصغيرة، فمعناه: كُن لهُما كالطائر الذي يخفض جناحيه حنانًا ولينًا على أفراخه، وهنا شيء عجيب، بعدما كانا هما الوالدان اللذان يقومان بخفض جناحهما على أفراخهما، عندما يكبُرا في السن يُصبح الأب والأم كالأبناء بالنسبة للابن؛ لذلك قيل: {مِنَ الرَّحْمَةِ} ، يعني اخفض الجناحين من فرط رحمتك لهما وعطفك عليهما لكبرهما وافتقارهما اليوم لك، إلى من كنت أفقر خلق الله إليهما بالأمس، وافتقار المرء إلى من كان مفتقرًا له فيه غاية في الضراعة والمسكنة فيرحمه أشد رحمة؛ لذلك أتت بعدها {وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا} .

أي: ربي تعطّف عليهم برحمتك ومغفرتك كما تعطفا عليّ في صغري فرحماني وربياني صغيرًا حتى استقللت بنفسي واستغنيت عنهما، وفي هذا المعنى قال أهل العلم كلام بديع: أن رحمتي بهما لن تكفيهما ولا بقاء لرحمتي بهما وإنما أستودعهما في رحمتك يا رب العالمين؛

لأن رحمتك إذا نزلت على العبد عمت وشملت حياته وبعد مماته؛ لذلك يبقى الإحسان للوالدين حتى بعد الممات، تيبقى الرحمة بهما.

يا رب ارحمهما جزاء ما كانا يرحماني في صغري وربياني بالرحمة، و{الكاف} هنا للتحقيق، كأنها لتأكيد الوجود، رب ارحمهما رحمة محققة لا ريب فيها، وقد ورد أن بعض السلف استحب أن يدعو المرء لوالديه أواخر التشهد قبيل السلام لأنه وقت فاضل، خصوصًا للوالدين المتوفين أو أحدهما، وقد ذُكر أن رجلًا من العلماء قال: "لا أزال ادعو لهما بهذا الجزء من الآية: {رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا} في السحر أو بين أذان الفجر وإقامة صلاته"، يقصد أنه لا يفارق الدعاء لهما.

هذه من الوصايا العظيمة التي احتوتها سورة الإسراء، والأمر يحتاج إلى مزيد تأمل في هذا التشبيه؛ خفض الجناح لهما، نسأل الله أن يعيننا على أداء الحقوق.

قال: (لا تَمْتَنِعْ مِنْ شَيْءٍ أَحَبَّاهُ) المقصد: مثلما لم يمتنعا عن شيء تُحِبه وأنت صغير، يبحثون عن ما تحب ويدخلون الأنس لك بما تحب على ما يستطيعون وعلى ما يرون أن لا مضرة لك منه فأنت الآن لا تمتنع عن شيء أحباه قدر ما تستطيع، وهنا نبقى على قاعدة أنه: "لا يكلف الله نفسًا إلا وسعها" لكن أنت اجتهد وإذا رأى الله منك اجتهادًا وفقك لما يحب ويرضى.

فِقهُ الأثر:

1) الاهتمام بالقول الحسن والفعل الحسن مع الوالدين.

لأن هذا داخل في خفض الجناح.

2) من معاني البر: التوقير والتعظيم والتواضع لهما.

واضح جدًا من الآية، أن اخفض لهما جناح الذل من الرحمة، وعلى كلام عروة -رضي الله عنه- (لا تَمْتَنِعْ مِنْ شَيْءٍ أَحَبَّاهُ).

3) تحقيق رغبات الوالدين المشروعة واجب على الأولاد.

إذًا تحقيق رغبات الوالدين المشروعة أمر واجب على الأولاد ما استطاعوا لذلك سبيلًا.

انتهى هذا الباب وننتقل إلى الباب السادس:

6-بَابُ جَزَاءِ الْوَالِدَيْنِ

10- حَدَّثَنَا قَبِيصَةُ، قَالَ: حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنْ سُهَيْلِ بْنِ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ -صلّى الله عليه وسلّم- قَالَ: (لا يَجْزِي وَلَدٌ وَالِدَهُ، إِلَّا أَنْ يَجِدَهُ مَمْلُوكًا فَيَشْتَرِيَهُ فَيُعْتِقَهُ).

شرحُ الكلمات:

- لا يجزي: أي لا يكافئه بالإحسان إليه وأداء حقه.
- يجده: أي يصادفه حال كونه مملوكًا.
- فيُعتقه: أي يعتقه بشرائه إياه.

هذا الباب يبين أن حق الوالدين هو من أعظم الحقوق بعد حق الله، وأن برهما والإحسان إليهما هو من الأمور التي تحث عليها الشريعة وترغب فيها بتعظيم الثواب عليها وتثني على فاعلها.

فهنا بيان أنك عاجز عن أداء حقهما لأن النبي -صلّى الله عليه وسلّم- يقول: لا يكافئ ولا يساوي ولد والده بما قدم إليه من تربية ورعاية وإحسان، وكونه سببًا لوجوده (إِلَّا أَنْ يَجِدَهُ مَمْلُوكًا فَيَشْتَرِيَهُ فَيُعْتِقَهُ) يجعله حرًا بعد أن كان عبدًا بالملك، كأنه يقال: تلك هي الحالة الوحيدة ليكافئ بها على ما قدمه له وهو أن يجعله حرًا إن كان مملوكًا ومثل هذه الأحوال أصلًا نادرة خصوصًا في عصرنا. لكن قُصد بالحديث أن هذا أمر عظيم لا يمكن أن تحصل به المكافأة.

فِقهُ الحديث:

1) شراء الوالد واجب على الولد المستطيع حتى يُعتَق.

هذا في حالات حصول الأسر والحروب، فإذا حصل وأن الوالد أو الوالدة حصل لهما رقّ فيجب على الولد المستطيع أن يعتق والديه.

2) العتق يحصل بمجرد الملك للأقارب.

هذا الحكم الفقهي، أنه إذا حصل والابن اشترى والده فلا حاجة لقول: "أنا أعتقتك"، فمجرد شراؤه عتق، وهذا نفسه لو حصل للوالد بالنسبة لولده، لو وجد ولده مملوكًا بمجرد كونه يشتريه يعتبر أعتقه بل ليس فقط الوالد والولد، قال: "للأقارب" وإذا كانت المسألة تهمكم راجعوها في الفقه الإسلامي سيتبين لكم أن الشريعة لا تقبل أن يُستعبد قريب قريبه.

3) الولد لا يؤدي حق والده المملوك إلا أن يعتقه بعد شرائه.

4) عِظَمُ حق الوالدين في الإسلام.

هذا هو المقصود، عظم حق الوالدين في الإسلام لأن الشريعة جعلت أن هذا الأمر لا يكون إلا إذا حصلت هذه الحالة، نحن في باب: (جَزَاءِ الْوَالِدَيْنِ) وسيتبين أنك بعيد أن تستطيع أن تجزيهم على ما فعلوا. تأتي القصة الثانية مع ابن عمر ويتبين الأمر إن شاء الله.

11- حَدَّثَنَا آدَمُ، قَالَ: حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ أَبِي بُرْدَةَ قَالَ: سَمِعْتُ أَبِي يُحَدِّثُ، أَنَّهُ شَهِدَ ابْنَ عُمَرَ وَرَجُلٌ يَمَانِيٌّ يَطُوفُ بِالْبَيْتِ، حَمَلَ أُمَّهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ، يَقُولُ:

إِنِّي لَهَا بَعِيرُهَا الْمُذَلَّلُ إِنْ أُذْعِرَتْ رِكَابُهَا لَمْ أُذْعَرِ.

ثُمَّ قَالَ: يَا ابْنَ عُمَرَ أَتُرَانِي جَزَيْتُهَا؟ قَالَ: لا، وَلا بِزَفْرَةٍ وَاحِدَةٍ، ثُمَّ طَافَ ابْنُ عُمَرَ، فَأَتَى الْمَقَامَ فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ قَالَ: يَا ابْنَ أَبِي مُوسَى، إِنَّ كُلَّ رَكْعَتَيْنِ تُكَفِّرَانِ مَا أَمَامَهُمَا.

شرحُ الكلمات:

- أُذعِرتْ: الذعر الخوف والفزع.
- رِكابها: بعيرها.
- بزَفْرةِ: بفتح الزاي وسكون الفاء: المرة من الزفير وهو تَردُّد النفس حتى تختلف الأضلاع وهذا يعرض للمرأة عند الوضع.

هذا الأثر عن ابن عمر مشهور، فيه سعيد ابن أبي بردة يحكي عن أبيه، هو حضر هذا الموقف الذي فيه كان الرجل اليماني يطوف بالبيت يحمل أمه وراء ظهره ويقول: إذا كان الركاب حصل لها أن ذعرت، وحين تذعر تُسرع بحاملها ويكاد يسقط منها، هو يقول: لو حصل هذا

للبعير فأنا لا يحصل مني هذا، يعني أنه شديد الحرص على أن لا يحصل لها شيء، يحميها، فهو جمع بين أن يكون حاملًا لها ووصف نفسه أنه بعيرها وتأمينها، وبعد كل هذا يسأل ابن عمر أنا في هذه الحال أطوف بها وأثناء الطواف أقول هذا الكلام؛ أنا البعير المروض السهل الذي لا ينفر ولا يُهملج وإنما يمشي في سكينة ووقار وإذا ذعرت الدواب ونفرت أنا لا أفعل هذا الفعل حتى لا أُؤذيها، ويُذكر أنه قال بيت آخر:

(حملتـهـا أكـثـر مـمّا حـمـلـت) فهـل تـرى جـازيتها يـا ابن عمر؟

فرد ابن عمر عليه بعد أن قال بررتها وحملتها فوق ظهري وطفت بها وما ذعرت كناية عن شدة الطاعة والحرص على البر وما تأففت ولا تضجرت من خدمتها، هل أكون جازيتها، ووفيتها حقها، فرد عليه ابن عمر: (لا، وَلا بِزَفْرَةٍ وَاحِدَةٍ) الزفرة الواحدة كما شرح هي: تردد النفس حتى تختلف الضلوع وهي حالة تعترض للمرأة أثناء الولادة من شدة الألم. وهذا يدل على ما تبين سابقًا، أنه بعيد عن الأبناء أن يوفوا الوالدين حقهما لكنهم يفعلون ما يستطيعون وربنا شكور يعطي على العمل القليل الأجر الكثير، وفي الحديث حث على خدمة الأم مهما بلغت المشقة، ودليل على عظم حق الوالدين على الأبناء.

فِقهُ الأثر:

1) الحثُّ على خدمة الأم.

2) عظم حق الوالدين على الأولاد.

هذا من الفوائد الجانبية، في الأصل فوائدنا في هذا الباب الحث على خدمة الأم وعظم حق الوالدين على الأولاد.

3) الصلاة تُكفِّر الصغائر من الذنوب.

(كُلَّ رَكْعَتَيْنِ تُكَفِّرَانِ مَا أَمَامَهُمَا) يقول صاحب الكتاب -رحمه الله- إنها تكفر الصغائر من الذنوب، وهذا ما نفهمه من كلام أهل السنة، أن الصلاة إلى الصلاة والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان يكفران ما بينهما إذا اُجتُنبت الكبائر فعلى ذلك تكون الصغائر، لكن عندما تسمع (الصغائر) لا تقل: فقط الصغائر؟! هذه الصغائر لو اجتمعت أهلكت العبد، ولولا أن الله منّ علينا بهذه العبادات كان العبد هلك من زمان ونعوذ بالله من الهلاك.

4) فضل الطواف والصلاة عند مقام إبراهيم عليه السلام.

هو ليس ظاهر لكن ربما من (فَأَتَى الْمَقَامَ) يذكر فضل الصلاة.

في لقائنا القادم إن شاء الله نكمل ما أورد في هذا الباب.

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.

اللّقاء الرّابع

الأربعاء: 1جماد أول 1442 هـ

بسم الله الرّحمن الرّحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

نحمد الله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا ونسأله بمنه وكرمه أن يجعلنا من أهل السنة المتمسكين بها، العالمين العاملين السائرين في الصراط المستقيم على نور من ربهم، يعلمون الحق من الباطل بما تفضل عليهم به ربهم من العلم بالكتاب والعلم بالسنة، نسأل الله أن يجعلنا ممن تعلم وعمل وعلم هذا الحق المبين، ومن آثار تعلم هذا الحق: الشهادة الحق للنبي -صلّى الله عليه وسلّم- بأنه بلّغ الرسالة وأدّى الأمانة ونصح الأمة وجاهد في الله حق جهاده، نسأل الله أن يجمعنا في جنات النعيم على سرر متقابلين نتذكر هذه الدراسة وهذا البحث وهذا العلم اللهم آمين.

كنا بدأنا في قراءة كتاب: (رَشُ البَرَد؛ شَرَح الادَب المُفرَد) في لقاءات ثلاثة سابقة، واليوم إن شاء الله اللّقاء الرابع لا زلنا في الأبواب التي هي حول البر (بر الوالدين) بسم الله:

12- حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ صَالِحٍ قَالَ: حَدَّثَنِي اللَّيْثُ قَالَ: حَدَّثَنِي خَالِدُ بْنُ يَزِيدَ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي هِلَالٍ، عَنْ أَبِي حَازِمٍ، عَنْ أَبِي مُرَّةَ مَوْلَى عَقِيلٍ، أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ كَانَ يَسْتَخْلِفُهُ مَرْوَانُ، وَكَانَ يَكُونُ بِذِي الْحُلَيْفَةِ، فَكَانَتْ أُمُّهُ فِي بَيْتٍ وَهُوَ فِي آخَرَ. قَالَ: فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ وَقَفَ عَلَى بَابِهَا فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكِ يَا أُمَّتَاهُ! وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ، فَتَقُولُ: وَعَلَيْكَ السَّلَامُ يَا بُنَيَّ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ، فَيَقُولُ: رَحِمَكِ اللَّهُ كَمَا رَبَّيْتِنِي صَغِيرًا، فَتَقُولُ: رَحِمَكَ اللَّهُ كَمَا بَرَرْتَنِي كَبِيرًا، ثُمَّ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَدْخُلَ صَنَعَ مِثْلَهُ.

شرحُ الكلمات:

- يستخلفه: يجعله نائبًا له.
- بذي الحليفة: مكان معروف قرب المدينة على بعد ستة أميال منها.
- يا أمتَّاه: نداء، والتاء والألف كلاهما عوض عن ياء المتكلم والهاء للسكتة، أي: يا أمي.

هذا الأثر عن أبي هريرة -رضي الله عنه- وفيه الخبر أنه -رضي الله عنه- كان يستخلفه مروان في هذا الوادي المعروف (ذي الحليفة) فهو كان في بيت وأمه في بيت آخر، لكن إذا أراد أن يخرج من بيته يقف على باب أمه ويسلم عليها بهذه الطريقة المميزة، كان يكفيه أن يقول: السلام عليكم. لكنه كل مرة يسلم عليها يذكر نفسه بما لها عليه من حق، فيقول: (السَّلَامُ

عَلَيْكِ) ثم لا يقول: يا أمي، إنما يناديها بإضافة التاء والألف، يقول: (يَا أُمَّتَاهُ) المعنى: يا أمي. لكن هذه الطريقة في النداء نوع من أنواع التكريم وزيادة الصلة به، (وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ) فتجيب مقابل (يَا أُمَّتَاهُ): (وَعَلَيْكَ السَّلاَمُ يَا بُنَيَّ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ) فيقول: (رَحِمَكِ اللَّهُ كَمَا رَبَّيْتِنِي صَغِيرًا) وهذا ما أردنا بيانه، بمعنى: أن المسلم عليه أن يذكر نفسه بفضل أمه -وهو الذي له القوة وهي التي في حال الضعف- أنها هي التي ربته صغيرًا.

فتقول له وهي أيضًا تبره: (رَحِمَكَ اللَّهُ كَمَا بَرَرْتَنِي كَبِيرًا) وفي هذا من الطرفين إشهاد لله بصنع كل منهما، يطلبون من الله أن يرحم كل طرف منهم بما فعل، فيُشهد الله -رضي الله عنه- أن أمه ربته صغيرًا، وهي تُشهد الله أنه برّها كبيرًا. هذا كل يوم يقوله وهو يخرج وأيضًا كل يوم وهو يدخل. وهذا الخبر يدل على أنه لم يتخلف عن ذلك، هو كل مرة يذكر نفسه وهي كل مرة تشكر الله وتطلب الرحمة بسبب هذا العمل.

فِقهُ الأثر:

1) اهتمام الصحابة بتعظيم أمَّهاتهم والدعاء لهُنَّ.

أتى هذا من ندائها: (يَا أُمَّتَاهُ) وأيضًا: (رَحِمَكِ اللَّهُ كَمَا رَبَّيْتِنِي صَغِيرًا).

2) الحرص على تربية الأولاد في الصغر تعود بالنفع والبر والخير على الوالدين في الكبر.

هو يقول لها: (كَمَا رَبَّيْتِنِي صَغِيرًا)وهي تقول له: (كَمَا بَرَرْتَنِي كَبِيرًا) حصل التقابل، هي وجدت ثمرة التربية الحسنة، في البر والخير في تقدم عمرها.

3) ثبوت الاستخلاف في حالة غياب الخليفة.

وهذا من الفوائد التي هي خارج المقصود، ودليله بداية الحديث: (أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ كَانَ يَسْتَخْلِفُهُ مَرْوَانُ).

13- حَدَّثَنَا أَبُو نُعَيْمٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ السَّائِبِ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ -صلّى الله عليه وسلّم- يُبَايِعُهُ عَلَى الْهِجْرَةِ، وَتَرَكَ أَبَوَيْهِ يَبْكِيَانِ، فَقَالَ: (ارْجِعْ إِلَيْهِمَا، وَأَضْحِكْهُمَا كَمَا أَبْكَيْتَهُمَا).

شرحُ الكلمات:

- الهجرة: الخروج من أرض إلى أخرى لعبادة الله وحده.
- أضحكهما: أي من الإضحاك بدوام صحبتك معهما.
- أبكيتهما: بفراقك إيَّاهما.

هذا الحديث فيه الدلالة على اسم الباب بوضوح، فهذا باب: (جَزَاءِ الْوَالِدَيْنِ) وفي الحديث السابق نؤكد على جزاء الوالدين، كان جزاء الوالدة من جهة أبو هريرة -رضي الله عنه- أن يكرر عليها (كَمَا رَبَّيْتِنِي صَغِيرًا) وهنا جزاء الوالدين البعد عن إبكائهما والقرب من إضحاكهما، وفي هذا يكون المعنى: أن المفروض مع طاعة الوالدين والإحسان إليهما: العمل على إرضائهما في المعروف. وهذا من أجلّ القُربات.

في هذا الحديث عبد الله بن عمرو -رضي الله عنهما- يخبر عن رجل جاء إلى النبي -صلّى الله عليه وسلّم- وقال: جئت أبايعك على الهجرة، يعني أعقد معك ميثاقًا على الهجرة في سبيل الله والخروج من دار الكفر إلى حيث تأمرني أذهب، لكنه أخبر النبي -صلّى الله عليه وسلّم- أنه ترك أبويه يبكيان، وأكيد أنه ما قال هذا للنبي -صلّى الله عليه وسلّم- إلا وفي نفس الرجل ما فيه من إحساسه بالألم في كونه فارقهما، وهو يصف حزن والديه من الفراق، أو خوف والديه عليه، أو القلق من جهة ما سيستقبله، وكأنهم يرغبون في عدم هجرته.

الموقف الآن أنه يريد أن يقوم بطاعة ووالديه في حال عدم رغبة في ذلك، فأمره النبي -صلّى الله عليه وسلّم- أن يعود إليهما وأن يضحكهما كما أبكاهما، المعنى ارجع وأضحك والديك وأدخل عليهم السرور كما أحزنتهم بخروجك، وفي بعض الشروح لهذا الحديث يقال أنه خرج للجهاد متطوعًا، فأمره النبي -صلّى الله عليه وسلّم- أن يرجع ويستأذن، هذا كلام بعض الشُراح، وبعض الشُراح يرون أنه إذا خرج للهجرة وهم والدين كافرين فالمطلوب إكرامهم وإدخال السرور عليهم، وطمأنينتهم حتى لو كانوا كافرين، والبخاري سيعقد بابًا في (معاملة الوالدين الكافرين).

الشاهد: هذا الحديث لا يدل على ترك الواجب، إنما يدل على الملاطفة حتى لو كنت تريد عمل واجبًا، وبيّن الهجرة بمعنى الخروج من أرض إلى أخرى لعبادة الله، ومعنى الإضحاك معلوم وهو يكون بدوام صحبتك معهم وملاطفتك لهم، والإبكاء يكون بالفراق، هذا لا يعني طاعة الوالدين الكافرين في عدم الهجرة إلى أرض يستطيع الإنسان أن يقيم فيها الدين، وإنما الملاطفة؛ لذلك ذكر بعض أهل العلم أن هنا المراد بالهجرة أن يكون تحت تصرف النبي

-صلّى الله عليه وسلّم- يغزو معه، فيظهر أن هذا الحديث بعدما انقطعت فريضة الهجرة وفُتحت مكة -والله أعلم- سيظهر هذا من كلام صاحب الشرح.

فِقهُ الحديث:

1) إذا لم يكن الجهاد فرضَ عين فلا يجوز الخروج بدون الاستئذان من الأبوين.

هذا يرجح ما ذكره الشُراح أن المقصود بالهجرة هنا: أن يكون تحت تصرف النبي -صلّى الله عليه وسلّم- في الجهاد، فإذا لم يكن فرض عين فلا يجوز الخروج بدون استئذان الأبوين؛ لذلك أمره النبي -صلّى الله عليه وسلّم- أن يعود فيضحكهما.

2) عدم مبايعة النبي -صلّى الله عليه وسلّم- دليل على أن هذا الرجل كان متطوعًا.

ظهر عدم المبايعة في كون النبي -صلّى الله عليه وسلّم- أمره أن يرجع إليهما. فهذا دليل على أن هذا كان تطوعًا في الجهاد.

3) مراعاة النبي -صلّى الله عليه وسلّم- للوالدين وتأكيد إرضائهما.

ويصبح بذلك أن إرضاء الوالدين أهم من كثير من النوافل ولو كانت هذه النافلة الجهاد، فإرضاء الوالدين أولى من ذلك.

4) فضل بر الوالدين وتعظيم حقهما وكثرة الثواب على بِرِّهما.

بدليل أن النبي -صلّى الله عليه وسلّم- وهو حريص على أن يدل الأمة على ما ينفعها، فضّل للرجل أن يعود فيرضي والديه على أن يكون مجاهدًا، فهذا دليل على كثرة الثواب على برهما.

14- حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ شَيْبَةَ قَالَ: أَخْبَرَنِي ابْنُ أَبِي الْفُدَيْكِ قَالَ: حَدَّثَنِي مُوسَى، عَنْ أَبِي حَازِمٍ، أَنَّ أَبَا مُرَّةَ، مَوْلَى أُمِّ هَانِئٍ ابْنَةِ أَبِي طَالِبٍ أَخْبَرَهُ، أَنَّهُ رَكِبَ مَعَ أَبِي هُرَيْرَةَ إِلَى أَرْضِهِ

بِالْعَقِيقِ فَإِذَا دَخَلَ أَرْضَهُ صَاحَ بِأَعْلَى صَوْتِهِ: عَلَيْكِ السَّلاَمُ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ يَا أُمَّتَاهُ، تَقُولُ: وَعَلَيْكَ السَّلاَمُ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ، يَقُولُ: رَحِمَكِ اللَّهُ رَبَّيْتِنِي صَغِيرًا، فَتَقُولُ: يَا بُنَيَّ، وَأَنْتَ فَجَزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا وَرَضِيَ عَنْكَ كَمَا بَرَرْتَنِي كَبِيرًا قَالَ مُوسَى: كَانَ اسْمُ أَبِي هُرَيْرَةَ: عَبْدَ اللهِ بْنَ عَمْرٍو.

شرحُ الكلمات:

- أبي هريرة: هو لقب الصحابي الجليل عبد الله بن عمرو.
- بالعقيق: المراد به عقيق المدينة الذي قيل فيه إنه وادٍ مبارك.

هذا الحديث قد مر معنا الإشارة إليه على اختلاف بعض كلماته.

فِقهُ الأثر:

1) الاهتمام بتحية الأم والدعاء لها بالخير وطيب النفس وانشراح الصدر.

كونه سلم عليها، هذا يعتبر من التحية، وكونه قال لها: (رَحِمَكِ اللَّهُ رَبَّيْتِنِي صَغِيرًا) أيضًا من الدعاء لها بالخير، وهذا أيضًا يكون بطيب النفس وانشراح الصدر، لا يقول هذا ولا يظهر عليه آثار انشراح الصدر، أتى الشارح أن هذا الأثر يدل على ذلك كونه صاح بأعلى صوته، وكونه كلما دخل أرضه، كل هذا يدل على طيب نفسه وانشراح صدره.

2) ثبوت رد السلام والدعاء الحسن للبادئ بالسلام.

وهذا ما حصل من أمه.

3) أقصى آمال الأم أن يجزي الله ولدها خيرًا وأن يرضى عنه.

الوالدة تحب أن يبرها ولدها، لكن الصادق في إيمانه يريد أن يحصل من الأبناء البر لأجل أن يرضى الله عنهم وليس لأجل أن تستفيد هي، الصادق من الإباء والأمهات يكون همّه في موقف البر أن يحصل البر من الأبناء لأجل أن يجزيهم الله خيرًا عن هذا البر وليس المصلحة للنفس؛ لذلك الأم الصادقة كثيرًا ما يكون الأبناء مائلين إلى الأم التي تطاوعهم وتفعل ما يريدونه فيحصل منهم بر، لكن لا يحصل نفس البر للوالد، فالأم إذا كانت صادقة في كونها

تريد أن يحصل البر من الأبناء من أجل الله، فالمفترض أن يحصل منها الحث الشديد للأبناء أن يبروا آباءهم لأجل الله، تقول له: عليك أن تبر والدك. وتفعل ما تستطيع لأجل أن تساعده على بر والده لأجل رضا الله -عزّ وجلّ- هذا طبعًا عندما تكون هي صادقة في إيمانها، أما عندما تدخل الدنيا على الناس يكون الأمر شيء آخر!

7-بَابُ عُقُوقِ الْوَالِدَيْنِ

15- حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ، قَالَ: حَدَّثَنَا بِشْرُ بْنُ الْفَضْلِ، قَالَ: حَدَّثَنَا الْجُرَيْرِيُّ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرَةَ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -صلّى الله عليه وسلّم-: (أَلاَ أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكَبَائِرِ؟) ثَلاَثًا، قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: (الإِشْرَاكُ بِاللَّهِ، وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ -وَجَلَسَ وَكَانَ مُتَّكِئًا- أَلاَ وَقَوْلُ الزُّورِ) مَا زَالَ يُكَرِّرُهَا حَتَّى قُلْتُ: لَيْتَهُ سَكَتَ.

شرحُ الكلمات:

- ثلاثًا: أي قالها ثلاثًا تأكيدًا لتنبيه السامع على إحضار قلبه.
- الزُور: الكذب والباطل والتهمة.
- وجلس: أي اهتم بهذا الأمر ولذا جلس بعد أن كان متكئًا.
- ليته سكت: قاله الصحابة شفقة على رسول الله -صلّى الله عليه وسلّم- وكراهية لما يُزعجه ويُغضبه.

نبدأ بقول النبي صلّى الله عليه وسلّم: (أَلا أُنَبِّئُكُمْ؟) بمعنى: ألا أخبركم لكن أتت كلمة "النبأ" إشارة إلى أن هذا الخبر مهم له غاية الأهمية، فالعرب لا تسمي الخبر السهل اليسير (نبأ) إنما يسمون (نبأ): الشيء العظيم. وأتت(أَلا) قبل (أُنَبِّئُكُمْ) وهذه التي فيها استدعاء للانتباه، فيكون أجتمع أمرين، (أَلا) و (أنَبِّئُكُمْ) دلت على: أن الأمر الذي سيتكلم عنه النبي -صلّى الله عليه وسلّم- في غاية الأهمية.

ثم قال: (بِأَكْبَرِ الْكَبَائِرِ) التي يُعصى الله تبارك وتعالى بها، وهذا يفهمنا أن معصية الله -عزّ وجلّ- ليست مرتبة واحدة، يمكن أن يكون شيء من قبيل اللمم، يعني الصغائر، وهناك شيء يكون فوق ذلك، ومنها ما يكون من الكبائر ومنها ما يكون أكبر الكبائر، يعني حتى الكبائر ليست مرتبة واحدة، فالرسول -صلّى الله عليه وسلّم- هنا ينبه أن الكبائر تتفاوت وأيضًا الذنوب

تتفاوت وقد تصغر الكبيرة بأمر يحف بها وقد تكبر الصغيرة بأمر يحف بها، ومن أكثر الأمور الخطيرة التي تكبر الصغيرة: الاستهتار والفرح بالذنوب، وقد تصغر الكبيرة بشيء من الخوف والحياء يحصل في قلب الإنسان.

هنا يحصل البيان لأكبر الكبائر، (أكبر) أفعل التفضيل، معناها: ستكون هذه الكبائر لها منزلة أعظم في الخطورة، فهذه الجملة من النبي -صلّى الله عليه وسلّم- لفتت النظر إلى كل هذه المعاني؛ التنبيه أن هنا نبأ عظيم، أن معصية الله مراتب، إلى آخر ما مر معنا.

ثم أنه -صلّى الله عليه وسلّم- لم يقلها مرة واحدة، بل قالها ثلاثًا، فزاد على كل هذه المعظمات التي في نفس الجملة أنه قالها ثلاثًا، يقول الشارح: (قالها ثلاثًا تأكيدًا لتنبيه السامع على إحضار قلبه) أثناء سماع هذا الخبر، وأنت عندما تسمع هذا الخبر المفترض أن تكون بكامل قوتك العقلية لتفهم الخطر الذي يحيط بك ويمكن أن يقع فيه الإنسان.

ثم ذكر النبي -صلّى الله عليه وسلّم- ثلاث ذنوب ستعتبر في غاية الخطورة، أخطر ما سيقابلك في الحياة هذه الثلاثة ذنوب، أما الأول فهو: الخطر العظيم الذي يمنع الإنسان من دخول الجنة -والعياذ بالله- ويحرمها عليه تحريمًا تامًا، ويكون سببًا في خلوده في النار والعياذ بالله.

أو يحرم عليه أن يدخل الجنة من أول الأمر، وهو مسألة: الإشراك بالله سواءً الأكبر أو الأصغر.

وعندما نسمع كلمة (الأصغر) لا يعني هذا أن نستهين به، هو أصغر بالنسبة للأكبر لكنه غاية في الخطورة، والبحث والفهم لأنواع الشرك الأكبر والأصغر يبين أنك استجبت لتنبه النبي -صلّى الله عليه وسلّم- في قوله: (أَلا أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكَبَائِرِ؟) ثَلاثًا، فلا بد أن يظهر أننا استجبنا لهذا التنبيه.

بالنسبة للشرك سيكون التعلم والمعرفة الدقيقة والاستعاذة الدائمة من الشرك الأصغر والأكبر والحذر المتكرر من كل ما فيه شائبة، ولا تصور الشرك على أنه أصنام تعبد وحجارة كما يصور الجهال، وهذه الصورة موجودة لكنها ليست الوحيدة، واليوم هذا الخطر يسمونه: (الإلحاد الروحي) ومهما اختلفت أسماؤه في النهاية هو عبارة عن إشراك بالله، إعطاء غير الله أي صفة من صفات الله، والتعلق بغير الله على أساس أن هذا الشيء موصوف بصفة من صفات الله، وهذا أصل الإشراك، ولو قال إن الله له الصفة الكاملة في ذلك.

مثلًا: يعطي غير الله القدرة على الشفاء ثم يقول لك: ربنا يشفي، وهذه الطاقة تشفي! وهنا يحصل كثير من الكذب على النفس ودعاة هذه الأبواب المستفيدين منها من المؤكد أنهم يزيدون الخلط على الناس، هذا يُفهم في بابه، لكن كونوا حذرين من الإشراك بالله، وافهموا الشرك

الأصغر والأكبر واستعيذوا دائمًا منهما وكونوا على حذر من تجدد الشرك الأكبر والأصغر، هذه المنافسات التي نراها حتى عند حفظة القرآن على التميز والشهادات والبروز ما هي إلا صور من الشرك الأصغر، ما هي إلا رياء وسمعة مهما احتال الإنسان وسماها أسماء والله المستعان.

موضوعنا الأساسي أن نعرف أن من أكبر الكبائر التي حذر منها النبي صلّى الله عليه وسلّم، عقوق الوالدين، يا له من خطر! نسأل الله أن يعيذنا منه وكما أننا سنستعيذ بالله من الشرك ونحذر من صور الشرك كذلك نستعيذ بالله من العقوق ونحذر من صوره التي قد لا تتبين، كثير من صور العقوق لا يشعر بها الإنسان، فنحن نستعيذ بالله ونسأل الله -عزّ وجلّ- أن يكفينا شر العقوق للوالدين ونسأل الله -عزّ وجلّ- أن يوفقنا إلى برهما أحياءً وأمواتًا، ونسأل الله -عزّ وجلّ- أن يحفظنا من أن نقع في الشرور عمومًا وفي هذه الكبائر خصوصًا. والله المستعان وعليه التكلان.

ونؤكد مثلما مر معنا سابقًا أن الوالدين عندما يكون أحدهما أو كلاهما سهل، فالإنسان يشعر أن هذه العبادة يسيرة، هم يمكن أن يكونوا سهلين وما لهم مطالب وليسوا كثيري العتاب لكن يكون في نفوسهم ما يكون، أو ما يكون عندك حالة من المبادرة في برهما، ويقول: لا يطلبون ولا يهمهم وهذا كله يدخل تحت الإهمال.

في نهاية الحديث ما يدل أيضًا على زيادة درجة التنبه، بعد جملة: (أَلا أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكَبَائِرِ؟) النبي -صلّى الله عليه وسلّم- قالها ثلاثًا، الآن النبي -صلّى الله عليه وسلّم- كان متكئًا في جلسته ثم اعتدل وترك الاتكاء لما قال الكبيرة الثالثة الخطيرة وهي: (قول الزور) وما زال يكررها، وقول الزور ليس مكانه هنا لكن نفهمه في سورة النساء وسورة المائدة، الشيء الخطير جدًا الذي نكاد لا نسلم منه إلا من سلّمه الله فالله يعيذنا أن نتعرض إلى قول الزور.

(حَتَّى قُلْتُ) المقصود: الراوي أبو بكرة، (لَيْتَهُ سَكَتَ) ليس أن الصحابي المبارك انزعج، حاشاه أن يكون انزعج من كلام النبي -صلّى الله عليه وسلّم- وإنما المقصود شفقة على النبي -صلّى الله عليه وسلّم- كما ذكر الشارح، وكراهية لما يُزعجه ويُغضبه، وهذا ما نظنه في الأصحاب الكرام.

فِقهُ الحديث:

1) ثبوت انقسام الذنوب إلى الكبائر والصغائر.

2) الترهيب الشديد من عقوق الوالدين وقول الزور.

3) عقوق الوالدين من كبائر الذنوب.

هذا كله واضح، الصغائر لم تذكر في الأحاديث إنما أمام كلمة "الكبيرة" قسيمها: "الصغيرة"، الترهيب الشديد من الشرك ومن العقوق ومن قول الزور.

4) تأكيد تحريم الزور وعظم قبحه.

خصوصًا أنه زاد على الكبيرتين التي قبلها أن النبي -صلّى الله عليه وسلّم- كان متكئًا فجلس ولا زال يكررها.

5) محبة الصحابة للرسول -صلّى الله عليه وسلّم- ورعاية الأدب معه.

وهذا واضح من كونهم مشفقين على النبي -صلّى الله عليه وسلّم- تمنوا أنه سكت.

بهذا يكون انتهى لقاؤنا وإن شاء الله نلتقي في هذا الكتاب مرة أخرى.

اللّقاء الخامس

الخميس: 2جماد أول 1442 هـ

بسم الله الرّحمن الرّحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

لا زلنا مع كتاب: (رَشُ البَرَد؛ شَرَح الادَب المُفرَد) ولا زلنا في الأحاديث المتصلة ببر الوالدين وفي النهي عن عقوقهما، وقد وصلنا الباب السابع في باب: (عُقُوقِ الْوَالِدَيْنِ) وتدارسنا الحديث الأول ونبدأ الآن في الحديث الثاني:

16- حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سَلاَمٍ، قَالَ: أَخْبَرَنَا جَرِيرٌ، عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ عُمَيْرٍ، عَنْ وَرَّادٍ، كَاتِبِ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ، قَالَ: كَتَبَ مُعَاوِيَةُ إِلَى الْمُغِيرَةِ: اكْتُبْ إِلَيَّ بِمَا سَمِعْتَ مِنْ رَسُولِ اللهِ صلّى الله عليه وسلّم. قَالَ وَرَّادٌ: فَأَمْلَى عَلَيَّ وَكَتَبْتُ بِيَدَيَّ: إِنِّي سَمِعْتُهُ يَنْهَى عَنْ كَثْرَةِ السُّؤَالِ، وَإِضَاعَةِ الْمَالِ، وَعَنْ قِيلَ وَقَالَ.

شرحُ الكلمات:

- كثرة السؤال: الإلحاح في سؤال الناس فيما لا حاجة إليه.
- إضاعة المال: أي: تبذيره وصرفه في غير وجهه المأذون فيه شرعًا وعدم الاهتمام بحفظه.
- قيل وقال: معناه: الحديث بكل ما يسمعه، فيقول: قيل كذا وقال فلان كذا، اعتمادًا على السماع والمقصود منه المبالغة في الزجر عنه.

نحن في باب: (عُقُوقِ الْوَالِدَيْنِ) سنشرح الحديث ثم نتصور مكانه بالنسبة للباب، هذا الحديث فيه أن ورّاد كاتب المغيرة بن شعبة استقبل الكتاب الذي كتبه معاوية -رضي الله عنه- ماذا أراد معاوية -رضي الله عنه- طالب العلم؟ أراد من المغيرة بن شعبة أن يكتب له بحديث سمعه من رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، فاختار المغيرة بن شعبة أن يكتب له الحديث لما فيه من صلاح الوالي وصلاح الناس، والذي بيّن فيه أن الله -سبحانه وتعالى- كره الوقوع في ثلاثة أشياء، وأول ما نسمع "كره" في النصوص نفهم أن الله حرّمها وأبغضها وأبغض الإنسان الذي يقوم بهذا العمل -نسأل الله أن يكفينا شر هذه المصيبة العظيمة: أن يكون الإنسان يسير في الأرض وهو مبغوض عند رب الأرض والسماء نعوذ بالله.

جملة ورّاد توثيقًا أن النبي -صلّى الله عليه وسلّم- قال هذا القول وأن المغيرة بن شعبة أرسل هذا القول خاصة إلى معاوية، وبهذا يكون هذا الحديث مرفوع، واضح.

الثلاثة أشياء هي: (كثرة السؤال) و(إضاعة المال) و(قيل وقال) وهو الإكثار من الكلام بلا ضرورة، أو حكاية شيء لا يعلم صحته، أو الكلام فيما يضر ولا ينفع، أو كما ذكر الشارح؛ أن تكون كثرة السؤال متوجهة إلى سؤال الناس أموالهم من غير حاجة، ويصبح كل ما قلناه عن كثرة السؤال داخل في قيل وقال.

(قيل وقال) و (كثرة السؤال) كلمتان متداخلتان، لو فهمنا (كثرة السؤال) أنك كلما دخلت مجلس أكثرت من السؤال وقلت: هؤلاء من أين؟ وهؤلاء من أين؟ وهؤلاء ماذا فعلوا؟ وماذا تركوا؟ وتكثر في الأسئلة، هذا يدخلك من جهة في (كثرة السؤال) ومن جهة في (قيل وقال) . (فكثرة السؤال) و (قيل وقال) تكون متداخلة إلا بما ذكره الشارح.

نسير على مذهب الشارح الذي رأى أن (كثرة السؤال) تعني: كثرة سؤال الناس أموالهم من غير حاجة أو كثرة السؤال في المشكلات حتى لو كانت في العلم، يسأل عن أشياء لا حاجة له بها، أو يكثر في السؤال عن أحوال الناس حتى يوقعهم في الحرج، الإلحاح في سؤال الناس إما أموالهم أو أحوالهم حتى يوقعهم في الحرج، وإما بالعلم بطريقة لا تليق، ويعتقد طالب العلم أنه عبقري أو فهيم فيسأل بطريقة خاطئة! أمّا حسن السؤال فهو من نعم الله على العبد.

المسألة الثانية: (إضاعة المال) بمعنى: الإسراف ووضعه في غير موضعه وصرفه في المعاصي.

(قيل وقال) معناها: الحديث بكل ما يسمعه، قال فلان وقال علان اعتمادًا على السماع، نقال كلام من هنا وهنا، وكما تبين لنا سابقًا فيه الإكثار من الكلام بلا ضرورة، أو أن يحكي حكاية شيء لا يعلم صحته.

هذه الثلاثة أمور أوردها البخاري في باب عقوق الوالدين، ما علاقتها بباب عقوق الوالدين؟

بكلام يسير وسهل: هذه الأمور بالإضافة إلى أن الله يكرهها، فسيكون التعامل بها مع الوالدين شيء من العقوق!

مثلًا: في مسألة: (كثرة السؤال) التي معناها: أن الإنسان إما يسأل الناس أموالهم من غير حاجة أو أن يسأل عن أحوالهم حتى يوقعهم في الحرج، فنفترض أن الوالد أو الوالدة لهما إخوان وعائلة وقد يكون بينهم إشكالات فيبقى الابن يريد أن يعرف الحكاية وما حصل ويفتش من قال ومن لم يقل، وهذا سيأتي بقيل وقال أيضًا وكثرة سؤال الوالدين أموالهم، فيحتال عليهم كلما ذهب وراح ليأخذ أموالهم أو يسأل عن أحوالهم، هذا يعتبر من العقوق بالإضافة إلى أن الله -عز وجل- كرهه كما في الحديث، إضاعة أموالهم بالتبذير والإسراف.

و(قيل وقال) كما تبيّن أن يُحدّث بكل ما يسمع ويقول لوالده: أخي فعل كذا وترك كذا ولما لم تعطه قال عليك قال عنك كذا، فيفسد بين الوالد وأولاده وإخوانه، كل هذا يدخل في العقوق. البخاري أورد هذا الحديث هنا لأن هذه الأعمال إذا عملت مع الوالدين زادت عن كونها مكروهة محرمة والله يكره فاعلها، إلى أن ترقى إلى درجة العقوق.

فِقهُ الأثر:

وهنا فقه الأثر مع كونه مرفوعًا إلى النبي صلّى الله عليه وسلّم، صحيح أنه أثر كتبه ورّاد عن المغيرة، -رضي الله عنه- وهو الذي نسبه إلى الرسول صلّى الله عليه وسلّم، فهو في حكم المرفوع.

1) تحريم المجادلة والأسئلة التي لا فائدة فيها ولا يترتب عليها أيّ نفع أو دفع ضرّ.

هذه المجادلة التي تكون بين الأبناء والوالدين وتكون لا فائدة فيها ولا يترتب عليها شيء تكون بذلك عقوقًا والله المستعان، يعني تريد أن تؤكد أن رأيك هو الصائب مع الوالدين، أو يكون رأي الوالدين حقيقة ليس صائب لكن لا فائدة من المناقشة، المجادلة والأسئلة من أكثر الأشياء التي يمكن أن توقع عقوق.

2) النهي عن تبذير وإضاعة المال.

بالنسبة لنا في مسألة الحقوق هذا تبذير وإضاعة مال الوالدين وعدم الحرص على مال الوالدين، وطوال الوقت يقول الأبناء لوالدهم: لماذا تجمع وأنت ذاهب إلى ربنا، في النهاية سيرثوك! وهذا يحصل مع زيادة الطمع.

3) النهي عن التحديث عن كل ما يسمعه الإنسان من غير أن يتأكد من صحته.

خصوصًا مع الوالدين، والآن مع هذه الأمور المخيفة، يقول الأبناء: مات في الحي كذا من الناس بسبب هذه الجائحة! وحصل كذا وهؤلاء مرضوا بكذا، كل هذا مما يخيف الوالدين خصوصًا إذا لم يكن لهم إطلاع بهذه الأمور، فهذا يدخل تحت العقوق، يكون بذلك عقّ والديه، وتعرض للمشكلتين: مشكلة أن الله يكره هذا الفعل ويكره فاعله وأنه أيضًا دخل باب العقوق وهذا من فقه البخاري -رحمه الله-.

ننتقل إلى الباب التالي:

8-بَابُ لَعَنَ اللَّهُ مَنْ لَعَنَ وَالِدَيْهِ

17- حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ مَرْزُوقٍ، قَالَ: أَخْبَرَنَا شُعْبَةُ، عَنِ الْقَاسِمِ بْنِ أَبِي بَزَّةَ، عَنْ أَبِي الطُّفَيْلِ قَالَ: سُئِلَ عَلِيٌّ: هَلْ خَصَّكُمُ النَّبِيُّ -صلّى الله عليه وسلّم- بِشَيْءٍ لَمْ يَخُصَّ بِهِ النَّاسَ كَافَّةً؟ قَالَ: مَا خَصَّنَا رَسُولُ اللهِ -صلّى الله عليه وسلّم- بِشَيْءٍ لَمْ يَخُصَّ بِهِ النَّاسَ، إِلَّا مَا فِي قِرَابِ سَيْفِي، ثُمَّ أَخْرَجَ صَحِيفَةً، فَإِذَا فِيهَا مَكْتُوبٌ: (لَعَنَ اللَّهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللهِ، لَعَنَ اللَّهُ مَنْ سَرَقَ مَنَارَ الأَرْضِ، لَعَنَ اللَّهُ مَنْ لَعَنَ وَالِدَيْهِ، لَعَنَ اللَّهُ مَنْ آوَى مُحْدِثًا).

شرحُ الكلمات:

- اللعن: الطرد والإبعاد على سبيل السخط.
- القراب: وعاء من الجلد يُدخَل فيه السيف.
- سرق: غَيْرَ.
- مَنار: جمع منارة وهي علامة الأراضي التي يتميز بها حدودها.
- محدثًا: من يأتي بفساد في الأرض، ويكون معنى الإيواء فيه، الرضا به الصبر عليه، فإنه إذا رضي الإنسان بالبدعة وأقرها عليه ولم يُنكرها عليه فقد آواه.

عندما ننظر لهذا الحديث سنبتدئ بالتفكير في مسألة آل البيت، وأنهم مع رفعة منزلتهم وعلو درجتهم إلا أنهم لم يخصوا بشيء من العلم من دون الأمة، وهذا النص الذي بين أيدينا من المؤكد أنه حصل في وقت قريب من الفتنة التي حصلت لعلي -رضي الله عنه- وفيما حصل سواءً من واقعة الجمل وغيرها من الوقائع التي فيها حالة الفتنة، فأتوا إلى علي -رضي الله عنه- وسألوه: هل خصكم النبي بشيء من العلم وأسراره؟ شيء من قواعد الدين، شيء من أحكام الدين، على أن تكونوا مميزين عن غيركم، وهم آل البيت لهم شرفهم ولهم حقوقهم، رضي من رضي وسخط من سخط، إلى آخر الزمان.

من ثبت أنه من آل البيت حقًا وليس زورًا فله حقوقه ما دام طائعًا وليس عاصيًا مبارزًا أو مجاهرًا بمعصيته، الناس كلهم يعصون، نسأل الله أن يغفر لنا كلنا لكن هناك فرق بين من يجاهر بمعصيته وبين الذي بينه وبين ربه، فآل البيت لهم خصوصيتهم التي يجب أن نعرفها ونحن مؤمنون، لكن هذا لا يعني أن الله ورسوله خصهم بعلم في الدين وفي أسراره وفي قواعده وفي أحكامه عن بقية الأمة.

فما كان من علي -رضي الله عنه- إلا أن نفى ذلك وقال أن النبي -صلّى الله عليه وسلّم- ما خصهم أبدًا، ما كان يقوله للناس كلهم هو ما كان يقوله لهم، ثم استثنى وقال: إلا ما كان في جراب السيف الذي يدخل فيه، هذا جراب السيف يمكن أن يدخل معه شيء ثانٍ خفيف، فأخرج من جراب السيف صحيفة مكتوب فيها هذا النص، وهذا الاستثناء لا يعني أن الرسول -صلّى الله عليه وسلّم- لم يخبر بذلك، لكن يقصد علي -رضي الله عنه- أن هذا الشيء مكتوب له، أو هو يعلمه وفيه خصوصية له، كأن الرسول -صلّى الله عليه وسلّم- أملاه عليه وهذا لا يعني أن غيره لم يعلمه.

أخرج الصحيفة فإذا فيها مكتوب: (لَعَنَ اللَّهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللهِ)، وهذا إشارة إلى الشرك في عبادة الذبح، والثاني: (سَرَقَ) بمعنى: غيّر، ساوى علامات حدودها التي يُعلم بها حدود الأرض.

يعني: هناك علامات يعلم بها حدود الأرض فهو سرقها من مكانها ووضعها في مكان ثانٍ فيحصل الخلط في حدود الأرض، وهذا يقصد به أمور كثيرة، من منار الأرض العلامات الدالة على الطريق والعلامات الدالة على حقوق الناس في الأرض، عندما يقطع لفلان أرض فهناك علامات تدل على أن هذه أرض فلان، فهو يأتي ويغيّر هذه العلامات التي في الأرض، لكن الآن يحصل التغيير في الصكوك، وهو يكتب الصك يقول: وتتجه شرقًا بمقدار كذا، فيزيد لنفسه أو لمن رشاه، او بالعكس ينزلها ليزيد لغيره، ما دام فيها لعن فهي كبيرة.

شاهدنا في: (لَعَنَ اللَّهُ مَنْ لَعَنَ وَالِدَيْهِ) كيف يمكن لإنسان أن يلعن والديه؟! في الحديث الآخرة معناه: أنه تسبب في لعن والديه بأن يسب أبا الرجل ويسب أمه فيسب الرجل أباه،

ويسب أمه، فبهذا يكون اللعن غير المباشر -والعياذ بالله- مباشرة يباشرهم بهذا الكلام أو حتى من ورائهم يحصل أنه يلعنهم، وهذا من أشد ما نهى عنه النبي -صلى الله عليه وسلم- في الأحاديث الأخرى.

يبقى: (لَعَنَ اللَّهُ مَنْ آوَى مُحْدِثًا) المحدث: هو الذي جنى على غيره جناية فحماه إنسان ومنع أصحاب الحق من استيفاء حقهم، وهذا يميز بينه وبين الجوار، يعني يدخل في جوار فلان، هناك فرق بسيط بين الجوار وبين إيواء المحدث، وليس هذا وقت التفريق، يجب أن نعرف أن المحدث يمكن أن يكون ليس من أحدث أمرًا في الناس فقط، لكن يمكن أن يكون يحمي واحد جنى على الدين بالبدع المحدثة، فيأتي ويحميه ويصرف عليه ويمكنه من نشر البدعة ولا يؤدبه ولا يصده عن بدعته، فمن حمى المحدث ملعون بالإضافة إلى نفس المحدث، وبهذا نفهم خطورة البدعة، أنه إذا أحدث إنسان حدثًا، والحدث: الجناية إما على الناس أو على الدين، ومن يُؤوي هذا ويحميه ويجعله تحت ظله ولا يؤدبه يطرد من رحمة الله والعياذ بالله.

معناه: أن أي أحد يمكن أن يشترك في مسألة إيواء المحدث في كونه يرضى ويقول: لا مشكلة ولكم دينكم ولي دين! كل هذا يدخل في إيواء المحدث، المطلوب: الإنكار ليبقى الإحداث منكرًا.

مثلا.. بدعة مثل (المولد النبوي) هذه بدعة منكرة تُفعل على سبيل التقرب إلى الله! وما فيها إلا البعد عن الله والعياذ بالله.

وهي لم تثبت في كتاب ولا في سنة ولا في فعل الصحابة الكرام ولا من بعدهم من القرون المفضلة، لكن السكوت عليها، حتى لو لم نعملها، وعدم إنكارها مشكلة، مع الزمن تصبح شيئًا مقبولًا فيكون الناس قد آووا محدثًا بذلك.

مثلها بدعة الخروج على ولي الأمر وقتل النفس المعصومة بالتفجيرات...إلى آخره، كل هذا من ديدن الخوارج الذين من المفترض أن ينكر عليهم، وهكذا المجتمع المسلم عمومًا مليء بالإحداث.

فأي شيء تتعرض له لا بد أن يكون لك نصيب من الإنكار له في نفسك وفي أهل بيتك وفيمن تستطيع أن تظهر الإنكار له، هناك سفهاء لو أنكرت عليهم أو أنكرت أمامهم بالسفاهة يوصلون الأمر إلى طريق مسدود، لكن مثلما فعل ابن عمر لما حصلت الفتنة بين علي ومعاوية -رضي الله عنهم جميعًا- وهي فتنة من فعل الخوارج وعبد الله بن سبأ ومن شايعه من المنافقين قد أشعلوا نار الفتنة بينهم، ابن عمر جمع أهل بيته ونهاهم نهيًا واضحًا عن الدخول في الفتنة، هذا ما فعله ابن عمر فهو لم يقبل بالأمر المحدث.

وهنا لا نفهم أن الأمر المحدث حصل من علي -رضي الله عنه- ومن معاوية -رضي الله عنه- بل حصل من المنافقين الذين في كل زمان هم أعوان للشيطان نسأل الله أن يرد شرهم عنا ويحفظنا من آثار مكرهم، بل مكر الليل والنهار.

فِقهُ الحديث:

1) بداية تدوين السنة منذ عهد الرسول صلّى الله عليه وسلّم.

هنا أشار إشارة بعيدة إلى ما فعله علي -رضي الله عنه- من إخراج الصحيفة من قراب سيفه والمكتوب فيها حديث الرسول صلّى الله عليه وسلّم.

2) حُرمة الذبح لغير الله سواء كان الذبح لصنم أو لصليب أو للكعبة أو للنبيّ صلّى الله عليه وسلّم.

وهذا شرك، كما تبين معنا.

3) حُرمة السيطرة على أرض الغير واغتصابها.

4) من عقوق الوالدين تعريضهما للسبّ والإهانة من الغير.

على فهم أن السبّ هنا أو اللعن لن يكون مباشرًا، كما تبين لنا.

5) من تسبب في فعلٍ كان كفاعله خيرًا أو شرًا.

هذا المعنى من قول: (لَعَنَ اللَّهُ مَنْ لَعَنَ وَالِدَيْهِ) والحديث الآخر الذي يبين معنى: (لَعَنَ اللَّهُ مَنْ لَعَنَ وَالِدَيْهِ).

6) حُرمة حماية الخرافيين والمبتدعين، وعدم الإنكار على إحداثهم شيئًا في الدين.

وهي الجملة الأخيرة: (لَعَنَ اللَّهُ مَنْ آوَى مُحْدِثًا).

لو بدأنا في الباب التالي سيطول المقام، إن شاء نبدأ في اللّقاء القادم الباب التاسع.

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.

اللّقاء السّادس

الأحد: 5جماد الأول 1442 هـ

بسم الله الرّحمن الرّحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

نحمد الله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا ونسأله بمنه وكرمه أن يجعلنا من أهل السنة الشريفة علمًا وعملًا وتعليمًا، وأن ينقلنا بهذا الحرص على السنة من أن نكون بعيدين غريبين في هذه الحياة إلى أن نكون مشهورين عند رب الأرض والسماء بأننا نحب الله ونحب دين الله، ونحب رسول الله، ونحب سنة رسول الله ونحب نشرها ونعظم السير على الصراط المستقيم ونسأل الله -عزّ وجلّ- أن يحسن لنا الخواتيم اللهم آمين.

كنا قد وصلنا في دراستنا لكتاب: (رَشُ البَرَد؛ شَرَح الادَب المُفرَد) إلى الباب التاسع:

9-بَابُ يَبَرُّ وَالِدَيْهِ مَا لَمْ يَكُنْ مَعْصِيَةً

18- حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ الْخَطَّابِ بْنِ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ أَبِي بَكْرَةَ الْبَصْرِيُّ لَقِيتُهُ بِالرَّمْلَةِ قَالَ: حَدَّثَنِي رَاشِدٌ أَبُو مُحَمَّدٍ، عَنْ شَهْرِ بْنِ حَوْشَبٍ، عَنْ أُمِّ الدَّرْدَاءِ، عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ قَالَ: أَوْصَانِي رَسُولُ اللهِ -صلّى الله عليه وسلّم- بِتِسْعٍ: (لاَ تُشْرِكْ بِاللَّهِ شَيْئًا ؛ وَإِنْ قُطِّعْتَ أَوْ حُرِّقْتَ، وَلاَ تَتْرُكَنَّ الصَّلاَةَ الْمَكْتُوبَةَ مُتَعَمِّدًا، وَمَنْ تَرَكَهَا مُتَعَمِّدًا بَرِئَتْ مِنْهُ الذِّمَّةُ، وَلاَ تَشْرَبَنَّ الْخَمْرَ، فَإِنَّهَا مِفْتَاحُ كُلِّ شَرٍّ، وَأَطِعْ وَالِدَيْكَ، وَإِنْ أَمَرَاكَ أَنْ تَخْرُجَ مِنْ دُنْيَاكَ فَاخْرُجْ لَهُمَا، وَلاَ تُنَازِعَنَّ وُلاَةَ الأَمْرِ وَإِنْ رَأَيْتَ أَنَّكَ أَنْتَ، وَلاَ تَفِرَّ مِنَ الزَّحْفِ، وَإِنْ هَلَكْتَ وَفَرَّ أَصْحَابُكَ، وَأَنْفِقْ مِنْ طَوْلِكَ عَلَى أَهْلِكَ، وَلاَ تَرْفَعْ عَصَاكَ عَنْ أَهْلِكَ، وَأَخِفْهُمْ فِي اللهِ عَزَّ وَجَلَّ).

شرحُ الكلمات:

- وإن قُطعت أو حرقت: أي: وإن تعرضت للحرق أو التقطيع.
- فقد برئت منه ذمة الله: أي: لا يبقى في أمن من الله في الدنيا والآخرة، كناية عن سقوط احترامه.
- وإن رأيت أنك أنت: أي وإن اعتقدت في الأمر حقًا فلا تعمل بذلك الحق، بل اسمع وأطِعْ إلى أن يصل إليك بغير خروج عن الطاعة، إلا أن ترى كُفرًا بَواحًا.
- الطَّول: فضل مالِك: وفي معناه الكسب بقدر الوسع والطاقة على طريق الاقتصاد.
- ولا ترفع عصاك عن أهلك: المراد به الضرب بالحق.

- وأَخِفْهم: أي أنذِرْهم من مخالفة أوامر الله بالنصيحة والتعليم وبالحمل على مكارم الأخلاق.

الباب: (بَابُ يَبَرُّ وَالِدَيْهِ مَا لَمْ يَكُنْ مَعْصِيَةً) وسنرى من أي باب أتى هذا العنوان، هذا الحديث عن أبي الدرداء -رضي الله عنه- قال: (أَوْصَانِي رَسُولُ اللهِ -صلّى الله عليه وسلّم- بِتِسْعٍ)..

كانت الأولى من التسع وصايا التي أوصاه رسول الله بها: (لا تُشْرِكْ بِاللَّهِ شَيْئًا) هذا رأس الوصايا دائمًا -كما مر معنا- "التوحيد" إذا لم يكن هناك توحيد لم يكن هناك قيمة لأي شيء بدونه، التوحيد رأس الأمر وكل شيء يبنى عليه.

قال: (وَإِنْ قُطِّعْتَ أَوْ حُرِّقْتَ) معنى ذلك أن التوحيد رأس الأمر الذي يضحي الإنسان بنفسه من أجله.

ثم يأتي في المرتبة التالية مباشرة: الصلاة التي هي عماد الدين، التي على المرء أن يرعاها غاية الرعاية فيكون دائمًا سائلًا ربه أن يحفظ عليه توحيده وأن يزيد إيمانه وأن يكون أثر زيادة الإيمان الخشوع في الصلاة، لا يكون فقط مقصده أداء الصلاة إنما يكون مقصده الوصول إلى الخشوع في الصلاة، وهذان أمران مرتبطان، كلما زاد الإنسان إيمانًا كلما أصبح أكثر اهتمامًا بما جعلته الشريعة مهمًا.

المشكلة أننا أحيانا نهتم بالأمور على حسب ما يكون شائع في المجتمع الاهتمام به، أو على حسب ما يكون في أهوائنا، لكن الأحاديث كلها تدل على التوحيد أولًا أو الصلاة أولًا أو بر الوالدين أولًا، مع الترتيب بين هذه الأمور، فأنت عندما تزيد إيمانًا تطلب من الله أن ينفعك هذا الإيمان في صلاتك وفي بر والديك وفي البعد عن المعاصي، وهكذا.

(مُتَعَمِّدًا) يعني: أن هناك ترك للصلاة غير متعمد، ويدخل في هذا الأعذار الشرعية المعروفة التي من بينها النوم، والنوم هنا يُقصد به: الذي غفل صاحبه وليس الذي من عادته أن ينام عن الصلوات -هناك فرق- مثل الآن في أوقات الشتاء التي يكون فيها العصر مبكرًا، وإلى أن ينتهي الشتاء والناس لا يستوعبون وقت العصر، فيتقدم جدًا فتجد نفسك تريد أن ترتاح قليلًا فلا تجد إلا وقد أذن الأذان ودخل وقت الصلاة، وربما تتأخر عن الصلاة في النوم لكن بدون قصد أن تترك الصلاة، لكن هذا لو أصبح ديدن الإنسان هذا يُخشى أن يدخل في التعمد.

شرح صاحب الشرح معنى (بَرِئَتْ مِنْهُ الذِّمَّةُ) فقال: أي لا يبقى في أمن من الله في الدنيا الآخرة كناية عن سقوط احترامه.

ربما بهذا الكلام أراد أن يخرج عن مناقشة مسألة الردة بترك الصلاة متعمدًا، وهو مبحث فقهي طويل في المناقشات، لكن -والله اعلم- أن الرأي الصائب في هذا أن من ترك الصلاة متعمدًا في تركها، يعني: لا يصلي أبدًا متعمدًا للترك يكون خرج عن ملة الإسلام.

ثم الأمر الثالث: (وَلا تَشْرَبَنَّ الْخَمْرَ، فَإِنَّهَا مِفْتَاحُ كُلِّ شَرٍّ) وهذا أمر معلوم وقد حل بالأمة ما حل من شرب الخمر ومن المخدرات، فكانت خطة العدو إيقاع الأبناء في هذه المخدرات التي تذهب عقولهم وتصيبهم بالأمراض العقلية والنفسية -الله يعيذنا- إلا من رحم الله، غالبًا إذا حصل استعمالها والإدمان عليها يكون هؤلاء في حكم المعدومين. نسأل الله -عزّ وجلّ- بمنه وكرمه أن يدفع عنا هذا البلاء وعن شبابنا ويشفي كل من وقع فيها ويعين كل من تاب منها ولا يسلط علينا أعداءنا في هذا الباب وفي كل باب يمس ديننا ودنيانا اللهم آمين.

يأتي الشاهد وهو: (وَأَطِعْ وَالِدَيْكَ) يقول: يبر والديه ما لم يكن معصية (وَإِنْ أَمَرَاكَ أَنْ تَخْرُجَ مِنْ دُنْيَاكَ) وليس من دينك (فَاخْرُجْ لَهُمَا) بهذه الدلالة أتى ما لم يكن في معصية.

ثم أشار إلى بقية الأمور التي أوصاه بها النبي -صلّى الله عليه وسلّم- (وَلا تُنَازِعَنَّ وُلاةَ الأَمْرِ وَإِنْ رَأَيْتَ أَنَّكَ أَنْتَ) والمقصود: حرمة الخروج على ولي الأمر ومنازعته وإن اعتقدت أن رأيك حق، وهذا كثير ما يحصل، فقد لا يوفق ولي الأمر للرأي الصائب لكن أنت عليك ألا تنازعه وهذا باب طويل مهم يجب أن يُضبط عند الخلق اليوم، والسبب أن من آثار العلمانية جعل المسائل الخطيرة والمهمة متداولة بين الناس وهم لا يدركون تفاصيلها وذيولها، فتحصل المنازعة مع ولي الأمر، اليوم المرأة في بيتها لا تعرف شيء، والصغير في مدرسته لا يعلم شيء وينتقد ولي الأمر وينتقد الأمور السياسية، وهنا ليس المقصود الطاعة في المعصية وإنما النهي عن المنازعة، ليس المطلوب منك أن ترضى عن المنكر لكن النهي عن المنازعة وهذا له بابه وهذه التفاصيل كلها -والحمد لله- معلومة ومقررة عند أهل السنة والجماعة.

وأيضًا (وَلا تَفْرُرْ مِنَ الزَّحْفِ، وَإِنْ هَلَكْتَ وَفَرَّ أَصْحَابُكَ).

ويأتي الكلام عن الأهل والإنفاق عليهم وعلى إدارتهم حتى يصلوا إلى النجاة (وَأَنْفِقْ مِنْ طَوْلِكَ عَلَى أَهْلِكَ) ، (وَلا تَرْفَعْ عَصَاكَ عَنْ أَهْلِكَ) بمعنى: الضرب بحق.

(وَأَخِفْهُمْ فِي اللهِ عَزَّ وَجَلَّ) يعني: أنذرهم عن مخالفة أوامر الله بالنصيحة والتعليم وبالحمل على مكارم الأخلاق، المقصود أن العقوبة تكون على الأمور التي تتصل بالدين والتي هي حقًا لها قيمة، شاهدنا واضح ونبدأ بفقه الحديث.

فِقهُ الحديث:

1) الحث على الابتعاد عن الشرك واعتناق التوحيد حتى في الساعات الحرجة والظروف العصيبة الرهيبة.

على ما اتفقنا أنه أصل ورأس الأمر.

2) الحذر من ترك الصلاة المفروضة ومن سوء العاقبة والمصير لتاركها من غير عذر شرعي.

وهذا تبين لنا.

3) حُرمة الخمر وبيان أضراره ومفاسده العظيمة.

4) الحثُ على طاعة الوالدين حتى لو صدرت عنهما الأحكام الشديدة.

الأحكام الشديدة المتصلة بالدنيا لأنه في الحديث واضح أنه: (وَإِنْ أَمَرَاكَ أَنْ تَخْرُجَ مِنْ دُنْيَاكَ فَاخْرُجْ لَهُمَا) وليس من دينك، وفيما سبق تبين لنا أن الأمور التي فيها تطوع، إن أغضبهم شيء من التطوع يقدم رضاهم على هذا التطوع.

5) وجوب طاعة الإمام وحرمة الخروج عليه ولو كان جائرًا.

6) الحضّ على الجهاد وعدم الخوف والفرار من العدو في أحرج ساعة.

7) الاقتصاد في النفقة على الأولاد.

8) وعدم الامتناع عن الضرب لتربيتهم.

الاقتصاد في النفقة على الأولاد من (وَأَنْفِقْ مِنْ طَوْلِكَ عَلَى أَهْلِكَ) أي: مما تستطيع، وليس لأجل أن توسع عليهم تدخل في الديون، إنما ما تستطيع؛ ولا يكون رفقك بالأبناء يمنعك من ضربك لهم لأجل التربية.

9) إنذار الأولاد عن المعاصي والمخالفة لأوامر الله عزّ وجلّ.

الحديث التالي:

19- حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ كَثِيرٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ السَّائِبِ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ -صلّى الله عليه وسلّم- فَقَالَ: جِئْتُ أُبَايِعُكَ عَلَى الْهِجْرَةِ، وَتَرَكْتُ أَبَوَيَّ يَبْكِيَانِ؟ قَالَ: (ارْجِعْ إِلَيْهِمَا فَأَضْحِكْهُمَا كَمَا أَبْكَيْتَهُمَا).

فِقهُ الحديث:

مضى شرحه برقم 13 في باب: جزاء الوالدين.

هذا الذي تبين لنا الآن: أنه دلالة الحديث الذي مر معنا سابقًا (ارْجِعْ إِلَيْهِمَا، وَأَضْحِكْهُمَا كَمَا أَبْكَيْتَهُمَا) أنه إذا كان هذا الأمر في النوافل فيقدم رضاهم على النافلة، بهذا ما لم يكن معصية، فيكون هناك درجتين؛ في الدنيا وفي النافلة يصح تقديم رضا الوالدين على النوافل، قدم رضا الوالدين على أي أمر يتصل بدنياك، وقدم رضا الوالدين إذا تعارض مع النافلة.

20- حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ الْجَعْدِ، قَالَ: أَخْبَرَنَا شُعْبَةُ، عَنْ حَبِيبِ بْنِ أَبِي ثَابِتٍ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا الْعَبَّاسِ الأَعْمَى، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ -صلّى الله عليه وسلّم- يُرِيدُ الْجِهَادَ، فَقَالَ: (أَحَيٌّ وَالِدَاكَ؟) فَقَالَ: نَعَمْ، فَقَالَ: (فَفِيهِمَا فَجَاهِدْ).

شرحُ الكلمات:

- رجل: قال الحافظ ابن حجر: يحتمل أن يكون هو جاهمة بن العباس بن مرداس.
- فجاهد: أي جاهد نفسك والشيطان في تحصيل رضاهما.

هذا الحديث يعيد لنا الدلالة في الحديث الماضي في كون أن هذا الجهاد نافلة، لأن هذا الرجل أتى يريد الجهاد مع النبي -صلّى الله عليه وسلّم- ويريد الجهاد يعني يريد أن يتطوع في جيش النبي -صلّى الله عليه وسلّم- وهنا يظهر أن الأمر ليس على الفرض، فالنبي -صلّى الله عليه وسلّم- بيّن له أن بر الوالدين والجهاد من أعظم العبادات، ومن أعظم الأعمال التي يتقرب بها الإنسان إلى الله وينال الدرجات العليا عند الله لكن يُقدم بر الوالدين على الجهاد إذا لم تكن الحاجة ضرورية عند الفرد للجهاد، فهذا يُقوي أن الحديث الأول كان في النافلة، هذا إنما يكون في وقت قوة الإسلام وغلبة أهل الإسلام للعدو، يكون الجهاد من فروض الكفاية، أما إذا قوي أهل الشرك وضعف المسلمون، فيرتفع الجهاد إلى التعيين على كل نفس ولا يجوز التخلف عنه

وإن منع منه الأبوان، يقول النبي -صلّى الله عليه وسلّم-: فابذل جهدك في إرضائهما وبرهما يُكتب لك أجر الجهاد في سبيل الله.

فِقهُ الحديث:

1) فضل بر الوالدين وعظم حقهما وكثرة الثواب على برهما.

من مجمل الحديث في كون أن النبي -صلّى الله عليه وسلّم- هنا قدم البر على الجهاد رغم أن الجهاد والبر من الأعمال.

2) إجماع العلماء على وجوب بر الوالدين وأن عقوقهما حرام من الكبائر.

وهذا ظاهر من كل ما مضى.

3) إذا كان الجهاد تطوعًا فلا يجوز الخروج من دون إذن الوالدين، وأما إذا كان فرضًا متعينًا فلا حاجة إلى إذنهما.

وهذا يجعلنا نحمل هذا الحديث والذي قبله على أنهما كانا تطوعًا.

4) جواز التعبير عن الشيء بضده إذا فُهم المعنى؛ لأن صيغة الأمر في قوله: (فجاهد) يشير إلى إيصال الضرر وهذا غير مراد قطعًا.

هنا يشير إلى التجوز في التعبير، لما يقول النبي -صلّى الله عليه وسلّم-: (فَفِيهِمَا فَجَاهِدْ) لو اخذناه على ظاهر الكلام كما يحصل في الترجمة، ممكن أن يكون معناه قاتل والديك لكن يقصد ما نفهمه من البلاغة العربية (وأنك إن أرضيتهما وبررتهما فإنك في حال تشبه حال الجهاد).

5) إن بر الوالدين قد أن يكون أفضل من الجهاد.

عندما يكون في نافلة ويكون الوالدين في حاجة إلى الأبناء.

10-بَابُ مَنْ أَدْرَكَ وَالِدَيْهِ فَلَمْ يَدْخُلِ الْجَنَّةَ

21- حَدَّثَنَا خَالِدُ بْنُ مَخْلَدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ بِلاَلٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سُهَيْلٌ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ -صلّى الله عليه وسلّم- قَالَ: (رَغِمَ أَنْفُهُ، رَغِمَ أَنْفُهُ، رَغِمَ أَنْفُهُ) قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ مَنْ؟ قَالَ: (مَنْ أَدْرَكَ وَالِدَيْهِ عِنْدَ الْكِبْرِ، أَوْ أَحَدَهُمَا، فَدَخَلَ النَّارَ).

شرحُ الكلمات:

- رغم: أصله لصق أنفه بالرغام، معناه: ذَلّ وخَزِيّ وهو كناية عن حصول غاية الذُلّ والهوان.

هذا الحديث أتى بطريقة مختلفة في الدلالة على إرتباط بر الوالدين بالدخول للجنة، سمى البخاري الباب: (بَابُ مَنْ أَدْرَكَ وَالِدَيْهِ فَلَمْ يَدْخُلِ الْجَنَّةَ) كأن الإنسان إذا أدرك والديه فقد فُتح له باب الجنة، فهنا إشارة مرة أخرى إلى أن النبي -صلّى الله عليه وسلّم- دائمًا وأبدًا يدلنا على ما ينفعنا في دُنيانا وأُخرانا، وهذه من الوصايا المهمة، فالنبي -صلّى الله عليه وسلّم- يقول: (رَغِمَ أَنْفُهُ) أي: لُصق أنفه بالتراب المختلط بالرمل، ولو بحثنا في معنى هذه الكلمة لتصورنا الصورة المراد بيانها لكن في النهاية المراد بها: الذلّ والخزيّ، أي: ذَلّ وخَزِيّ كما قال صاحب الشرح.

من هذا الذي يرغم أنفه والنبي -صلّى الله عليه وسلّم- قال هذا ثلاثًا؟

النبي -صلّى الله عليه وسلّم- خص سن الكبر لأنه أحوج الأوقات إلى حقوقهما، فهو رغم هذه الفرصة العظيمة لكن ما أدخلته الجنة، فهذا لا يهتم بالجنة، وهذا يذكرنا بالكلام السابق، أن بر الوالدين، كبقية الأعمال، الشرط فيه الإخلاص، أنت لا تفكر فيهم بل تفكر في دخول الجنة، فهذه فرصتك، برهما عند كبرهما وضعفهما بالخدمة والنفقة وغير ذلك سبب لدخولك الجنة، وقد مر معنا بعض الآباء والأمهات صعبين، لا يرضيهم شيئًا، فأنت لو فكرت في الإخلاص ستترتاح، ستبقى طوال الوقت تفعل ما تستطيع وتطلب من رب العالمين أن يرضى عنك ويرضيهما، وأنت فعلت ما عليك، لكن المشكلة لو كانوا سهلين وأنت ما تستفيد ولو كانوا صعبين وأنت لا تجاهد..! بهذا تكون خسرت، من قصر في ذلك فقد فاته دخول الجنة.

نربط الكلام ببعضه: من أدرك والديه لا بد أن يدخل الجنة إذا أقام التوحيد والصلاة التي مر الكلام عنها.

فِقهُ الحديث:

1) الحث على بر الوالدين وبيان عظم ثوابه، والتحذير من عقوقهما وعظم عقابه.

هنا بالمعنى الضدي، أنه إذا تركت برهما ستكون خاسر ويصيبك الذلّ والخزيّ.

2) بِرُّ الوالدين عند كبرهما وضعفهما بالخدمة أو النفقة سبب في دخول الجنة، ومن قصّر في أداء حقهما لم يدخل الجنة وأرغم الله أنفه.

وهذا واضح من الحديث.

3) استحباب إعادة الكلام ثلاثًا ليُفهَم.

من فعل النبي صلّى الله عليه وسلّم.

11-بَابُ مَنْ بَرَّ وَالِدَيْهِ زَادَ اللَّهُ فِي عُمْرِهِ

22- حَدَّثَنَا أَصْبَغُ بْنُ الْفَرَجِ قَالَ: أَخْبَرَنِي ابْنُ وَهْبٍ، عَنْ يَحْيَى بْنِ أَيُّوبَ، عَنْ زَبَّانَ بْنِ فَائِدٍ، عَنْ سَهْلِ بْنِ مُعَاذٍ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صلّى الله عليه وسلّم: (مَنْ بَرَّ وَالِدَيْهِ طُوبَى لَهُ، زَادَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي عُمْرِهِ).

شرحُ الكلمات:

- طوبى: اسم الجنة، أو شجرة فيها، ويمكن أن يكون معناه: السعادة والخير.
- زاد الله في عمره: أي لا يضيع عمره وقيل يُزاد في رزقه.

ضعَّف الألباني هذا الحديث. وقال الحاكم: صحيح، وأقرَّه الذهبي.

هذا الحُكم من صاحب الكتاب، وفي أحيان كثيرة يُراعي حُكم الألباني على الحديث -رحمهم الله جميعًا- لكن نقُل أن الحاكم صححه وأيضًا أن الذهبي أقرّ هذا التصحيح، وكون أن البخاري قد أورده فهو من المؤكد أنه ليس من الموضوعات، وأن ضعفه يحتمل، ومعنى هذا سيأتي في فرصة أخرى نتكلم عن هذا الموضوع بشيء من الاستفاضة، لكن باختصار في الحث على

فضائل الأعمال أو في الأمور التي أصلًا لها أدلة صحيحة فلا مانع من الاستشهاد بالأدلة التي يكون فيها ضعف...نعود للحديث:

في الحديث أن النبي -صلّى الله عليه وسلّم- قال: (مَنْ بَرَّ وَالِدَيْهِ طُوبَى لَهُ) وطوبى يمكن أن يكون اسم للجنة أو شجرة فيها، بمعنى: أن النبي -صلّى الله عليه وسلّم- يعد من بر والديه بالجنة، أو في الدنيا له السعادة والخير، ثم يزيد النبي صلّى الله عليه وسلّم: (زَادَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي عُمْرِهِ) والزيادة في العمر هنا لها معاني ومن بين معانيها:

- البركة: بارك الله في عمره، فأصبح، وإن كان عمره قصيرًا، فإن أعماله المتروكة ورائه عظيمة، ما تكون عند الناس إلا في عمر أطول من هذا العمر، زاد الله في بركة عمره، هذا معنى.
- والمعنى الآخر الزيادة الحقيقية: وهذا المعنى يجعلنا نفكر في الفرق بين ما هو مكتوب في اللوح المحفوظ وما هو مكتوب عند الملائكة، فإن الملائكة قد تكتب عمرًا ثم يحصل من الإنسان عمل صالح فيزيده الله في عمره ويكون العمر الزائد في علم الله أصلًا.

وهذه المسألة تبحث في باب القضاء والقدر والفرق بين كتابة الملائكة وبين اللوح المحفوظ، وهذا مثله مثل قول عمر -رضي الله عنه- (اللهم إن كنتَ كتبتني شقيًّا فامحني واكتبني سعيدًا) المقصود: إن كنت كتبتني عند الملائكة مع الأشقياء فامحها واجعلني مع السُّعداء وهذا يكون مستقر في اللوح المحفوظ، يراجع في مثل هذا أبواب القضاء والقدر لفهم هذه المسألة.

إذًا إما يزيد في بركة عمره وإما الزيادة الحقيقية، وإما -كما ذكر الشارح- يزاد في رزقه، يعني: يحصل في العمر القصير من الأرزاق ما لا يحصل عند الناس عادة.

فِقهُ الحديث:

1) بر الوالدين سبب البركة والزيادة في العمر.

هنا عبر عنها بالبركة، معنى ذلك أن هذا من أثر بر الوالدين.

2) البارُّ بوالديه له (طوبى) قسم خاص من الجنة.

النبي -صلّى الله عليه وسلّم- وعده بذلك.

نسأل الله بمنه وكرمه أن ينفعنا بما سمعنا وأن يجعلنا أهل عمل، كما أننا نجلس فنسمع فإننا نقصد بذلك أن نعمل طلبًا لرضاه -سبحانه وتعالى- وهو الموفق لذلك.

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.

اللّقاء السّابع

الاثنين: 6جماد أول 1442 هـ

بسم الله الرّحمن الرّحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

بسم الله توكلنا على الله، نبدأ في الباب الثاني عشر من قراءتنا (لِرَشُ البَرَد؛ شَرَح الادَب المُفرَد).

12- بَابُ لاَ يَسْتَغْفِرُ لأَبِيهِ الْمُشْرِكِ

23- حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ، قَالَ: أَخْبَرَنَا عَلِيُّ بْنُ حُسَيْنٍ قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي، عَنْ يَزِيدَ النَّحْوِيِّ، عَنْ عِكْرِمَةَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، فِي قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: (إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ) إِلَى قَوْلِهِ: (كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا) (الأسراء: 23-24)، فَنَسَخَتْهَا الْآيَةُ فِي بَرَاءَةَ: (مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ) (التوبة: 113).

شرحُ الكلمات:

- أف: بمعنى تبًا وقُبحًا، أو هو صوت يدُلّ على التضجُّر.
- ربَّياني: نمّياني، لأن التربية هي تنمية الشيء.

هذا أثر عن ابن عباس نقله عنه عِكرمة وهو تلميذ لابن عباس نقل عنه التفسير خاصة، ينقل عكرمة -رضي الله عنه- عن ابن عباس في آية الإسراء أنها منسوخة بآية براءة، أما آية الإسراء فهي الدالة على وجوب طاعة الوالدين والنهي عن قول أي شيء يسيء لهما حتى بكلمة أف، التي هي بمعنى: تبًا وقبحًا أو الصوت الذي يدُلّ على التضجُّر، ومعنى النسخ هنا سيكون معنى خاص.

آية الإسراء أطلقت وجوب بر الوالدين سواءً كانوا كُفارًا أو مسلمين، وتأتي آية التوبة وتجعل آية الإسراء خاصة، التوبة مدنية فيها البراءة من المشركين والمنافقين، التوبة سورة أقرّت وجوب البراءة من المنافقين والمشركين، ومن بين الأمور التي أقرت فيها البراءة العلاقة بالوالدين (الآية: 113) التي ذكرها تزيد تأكيدًا في البراءة حيث نهى -سبحانه وتعالى- عن الاستغفار لهم بعد تبين شركهم وكفرهم لأن الشرك والكفر موجب لقطع الموالاة حتى مع الأقرباء.

القرابة تفيد الرحمة، لكن لا تفيد قبول الاستغفار، فطلب المغفرة لهم في حكم المخالفة لوعد الله ووعيده، لأن الله قال، كما في سورة النساء (الآية: 48): {إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ} فعُلم من هذا أن تصلهم (نعم)، لكن تطلب لهم المغفرة (لا)، لأن طلب المغفرة لهم في حكم المخالفة لوعد الله ووعيده الذي أتى في آيات سورة النساء، النسخ هنا ليس النسخ المعروف حكمًا في علوم القرآن إنما المقصود: (التخصيص).

وموضوع جعل بعض المواطن نسخًا أو تخصيصًا من الأمور التي يتنازعون فيها في علوم القرآن، آية سورة الإسراء التي فيها أمر ببر الوالدين لما نزلت آية براءة خصصتها لأهل الإسلام: {وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا} (الآية: 23) أمر الله -عزّ وجلّ- بإخلاص العبادة وقرن الأمر بالإحسان إلى الوالدين بذلك، وجعل بر الوالدين مقرونًا بعبادته وحده جل وعلا.

وهذا الأمر أيضًا أتى في سورة النساء: {وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ۖ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا} (الآية: 36).

وأتى في سورة البقرة: {وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا} (الآية: 83) في آيات كثيرة أتى بر الوالدين مقرون بتوحيده -عزّ وجلّ- وهذا يدلّ على شدة تأكيد وجوب بر الوالدين، والأحاديث في ذلك كثيرة.

ما يراد بيانه الآن هو أن هذا الأمر ببر الوالدين والإحسان لهما خاصة في سن تقدمهم في العمر يجب إكرامهم والإحسان لهم والقيام بحقوقهم ما أمكن، كل هذا يخص الوالدين المسلمين، خاصة في مسألة الاستغفار، بمعنى {وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا} هذه الجملة مخصصة للمسلمين.

معنى نسختها الآية في براءة نكتب فوقها (التخصيص) يعني خُصص فأصبح قول: {وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا} خاص للذي والديه مسلمين.

فِقهُ الأثر:

1) الآية الأولى: {إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ} (الأسراء: 23) تدل على الاستغفار والدعاء للوالدين المسلمين.

بعد أن فهمنا كلام ابن عباس، فهمنا أن الدعاء لهما بالرحمة إنما هو للوالدين المسلمين.

2) الآية الثانية: {مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا} (التوبة: 113) تدل على منع الاستغفار والدعاء للوالدين الكافرين فلا تعارض بينهما، ولا حاجة إلى القول بنسخ آية براءة.

هذا القول أصلًا أتى من ابن عباس، فنفهم كلمة النسخ بمعنى: كلمة التخصيص، وهذا نزاع قائم في علوم القرآن في أن بعض أهل العلم يُطلق كلمة: النسخ والمراد: التخصيص. آية نزلت عامة ثم نزلت آية خصتها، هذا يُفهم مباشرة، لما نزلت آية براءة خصصت آية الإسراء بالمسلمين، هم من ندعوا لهم: {وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا} وغيرهم سيكون لهم لين الجانب -كما سيأتي في الباب التالي- ويكون لهم حقوق في البر لكن بدون الدعاء لهم بالمغفرة، لأن في هذا تعد على وعد الله ووعيده.

نرى البخاري أتى بالباب الذي بعده لنفهم، صحيح أننا لا ندعو لهم بالمغفرة لكن لهم حقوق أخرى، هذا -الحمد لله- غالب المسلمين بعيدين عنه اليوم خاصة، فإن من فضل الله الوالدين مسلمين، لكن مع دخول الكثير -الحمد لله- إلى الإسلام، يواجهون مشكلة كون والديهم غير مسلمين.

13- بَابُ بِرِّ الْوَالِدِ الْمُشْرِكِ

24- حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ، قَالَ: حَدَّثَنَا إِسْرَائِيلُ، قَالَ: حَدَّثَنَا سِمَاكٌ، عَنْ مُصْعَبِ بْنِ سَعْدٍ، عَنْ أَبِيهِ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ قَالَ: (نَزَلَتْ فِيَّ أَرْبَعُ آيَاتٍ مِنْ كِتَابِ اللهِ تَعَالَى: كَانَتْ أُمِّي حَلَفَتْ أَنْ لاَ تَأْكُلَ وَلاَ تَشْرَبَ حَتَّى أُفَارِقَ مُحَمَّدًا صلّى الله عليه وسلّم فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: (وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا) (لقمان: 15). وَالثَّانِيَةُ: أَنِّي كُنْتُ أَخَذْتُ سَيْفًا أَعْجَبَنِي، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، هَبْ لِي هَذَا، فَنَزَلَتْ: (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ) (الأنفال: 1). وَالثَّالِثَةُ: أَنِّي مَرِضْتُ فَأَتَانِي رَسُولُ اللهِ صلّى الله عليه وسلّم، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَقْسِمَ مَالِي، أَفَأُوصِي بِالنِّصْفِ؟ فَقَالَ: لاَ، فَقُلْتُ:

الثُّلُثُ؟ فَسَكَتَ، فَكَانَ الثُّلُثُ بَعْدَهُ جَائِزًا. وَالرَّابِعَةُ: إِنِّي شَرِبْتُ الْخَمْرَ مَعَ قَوْمٍ مِنَ الأَنْصَارِ، فَضَرَبَ رَجُلٌ مِنْهُمْ أَنْفِي بِلَحْيِ جَمَلٍ، فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ صلّى الله عليه وسلّم فَأَنْزَلَ الله عَزَّ وَجَلَّ تَحْرِيمَ الْخَمْرِ).

شرحُ الكلمات:

- جاهداك: سعيا سعيهما البالغ معك كي تشرك بالله.
- صاحبهما: عش معهما واخدمهما.
- أربع آيات: المراد بها الأحكام، أو يقال إن ذلك من قبيل التغليب لأن تحريم الزيادة على الثلث في الوصية ثابت بالسنة لا بالقرآن.
- الأنفال: جمع نفل ومعناه الزيادة، ويطلق على الغنيمة لأنها زائدة على أصل المقصد، وهو إعلاء كلمة الله.
- بلَحيي جمل: وفي رواية مسلم بأحد لَحيي رأس جمل.
- اللَّحْيُ: منبت اللحية من الإنسان وغيره.

نبدأ بالكلام عن الأثر، وهو كلام من سعد بن أبي وقاص -رضي الله عنه- وهو الصحابي الجليل، وأحد العشرة المبشرين بالجنة ومن السابقين إلى الإسلام، لما أسلم كان عمره سبعة عشر عامًا، ولم يسبقه إلى الإسلام من الرجال إلا أبو بكر -رضي الله عنه- وعلي بن ابي طالب وزيد بن حارثة -رضي الله عنهم- فيكون رابع أربعة -رضي الله عنه- أسلموا، وهو من بني زُهرة أخوال الرسول -صلّى الله عليه وسلّم- أيضًا له قرابة بالنسب الشريف، وكان من فضائله أنه -رضي الله عنه- مجاب الدعوة وأنه صاحب الرمية الذي إذا رمى بسهم أصاب لأن النبي -صلّى الله عليه وسلّم- دعا له: (اللَّهمَّ سَدِّد رَمْيتَه، وأجِبْ دعوتَه)[4] وهو أول من أراق دمًا في سبيل الله، وأول من رمى سهمًا في سبيل الله، والنبي -صلّى الله عليه وسلّم- قال: (ارْمِ سَعْدُ فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي)[5] رضي الله عنه، وسعد بن أبي وقاص كان أحد الستة الذين رشح عمر بن الخطاب أن يكونوا بعده للخلافة، وهو ممن اعتزل الفتنة تمامًا، وله سيرة حسنة جديرة بالفهم والتحليل والتدقيق والبيان والأستفادة، لكن نسأل الله أن يغفر لنا تقصيرنا في معرفة هؤلاء الصحب الكرام، وهذه الآية العظيمة من آيات الله، ولا زلنا نكرر: إن من الآيات البينات على صدق رسول الله -صلّى الله عليه وسلّم- اختيار الله له هؤلاء الصحب الكرام الذين يجب علينا معرفة سيرهم وملء الفؤاد بحبهم فإن حبهم قربى إلى الله.

[4] () صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه.
[5] () صححه الألباني.

سعد -رضي الله عنه- يحكي هنا عن نفسه أربعة مواطن نزلت فيها آيات بسببه، وهذا يؤكد لنا قدمه الراسخة في الإسلام وحاله العظيمة في نصرته وكون أن الله تفضل عليه بهذا الفضل؛ لأن الله تفضل عليه بهذه الآيات، ونبدأ بآية سورة لقمان التي نزلت فيه وهو السابق للإسلام، بالنسبة لنا يهمنا هذا الجزء، يقول: (نَزَلَتْ فِيَّ أَرْبَعُ آيَاتٍ مِنْ كِتَابِ اللهِ تَعَالَى) وهو ابن سبعة عشر عامًا وكانت له منزلته عند أمه ومن منزلته عند أمه أنها كانت من حبها فيه تراه غاية الأماني بالنسبة لها، وترى أن صلاحه في بقائه على ما كان عليه، فكأنها أضربت عن الطعام إضرابا يؤدي إلى موتها، هذا الابن سيكون في حيرة ما يفعل وهو يعلم ما للأم من مكانة؟! وفي نفس الوقت هذا الدين هو الدين الحق الذي لا يمكنه الرجوع عنه، فكان من تأييد الله له أن نزلت هذه الآيات، أن والديك أيها الإنسان إن جاهداك أن تشرك بي في عبادتك إياي معي غيري فلا تطعهما فيما أرادا من الشرك بي، وتبقى مصاحبتهما في الدنيا بالمعروف، يعني بالطاعة لهما فيما لا تبعة عليك من الذنوب.

وهذا يوضح العلاقة تمامًا بين هذا الباب والذي قبله، ويؤكد مسألة {التخصيص} في كون أنه ما يُدعى لهما بالرحمة وإنما يبقى الإنسان على المصاحبة بالمعروف، معنى هذا أن الشاهد هنا هذا الجزء من الحديث، أننا إذا تعرضنا للأمر بالمعصية أو بالشرك فهذا يجعلنا في حِلٍّ من طاعتهم في الموضوع المتصل بالشرك، بدليل أن سعد بن أبي وقاص لما أسلم؛ هددته أمه ألا تأكل ولا تشرب حتى يفارق دين النبي -صلّى الله عليه وسلّم- فما كان من سعد بن أبي وقاص -رضي الله عنه- إلا أن خاطبها أنه (لو كانت لها مئة نفس وخرجت نفسًا نفسًا ما ترك الدين)، وقال لها: (إن شئتِ كلي وإن شئتِ لا تأكلي)، وبعد ذلك حلفت هي ألا تكلمه، لكن هذا التصرف منه نزلت الآيات فأيدت فعله.

ونود أن نلاحظ أن عمره سبعة عشر عامًا وهو في هذا الموقف الصعب بين أمه التي كانت توفر له النعيم الدنيوي وبين دينه الذي تمسك به، بقية المسائل الثلاث التي نزلت في سعد جديرة بالدراسة لكنها ليست الشاهد فسنتركها.

فِقهُ الأثر:

1) الحث على طاعة الوالدين في غير معصية الله.

2) فضل البر والإحسان مع الوالدين المشركين.

لأن الله تعالى في آية لقمان قال: {وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا} (الآية: 15)، فأمور الدنيا لا بأس فيها.

3) فضل الأمة المحمدية على سائر الأمم بأن الغنيمة قد أحلت لها دون غيرها.

هذا ورد في آية الأنفال، فقد كان في شريعة النصارى أو في شريعة اليهود أن الغنيمة تُحرق ولا يُستفاد منها.

4) استحباب زيارة المريض.

في الآية الثالثة لما كان سعد -رضي الله عنه- في مكة ومرض وزاره النبي صلّى الله عليه وسلّم.

5) تواضع النبي -صلّى الله عليه وسلّم- لأنه كان يهتم بعيادة المرضى اهتمامًا بالغًا.

هذه كلها فوائد جانبية بالنسبة لنا.

6) عدم جواز الزيادة على الثلث في الوصية.

كما أمر صلّى الله عليه وسلّم.

7) شرب الخمر حرام وفيه مفاسد عظيمة وأضار جسيمة.

الآية الرابعة في شرب الخمر قبل نزول آية التحريم، التي في سورة المائدة.

25- حَدَّثَنَا الْحُمَيْدِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ عُيَيْنَةَ، قَالَ: حَدَّثَنَا هِشَامُ بْنُ عُرْوَةَ قَالَ: أَخْبَرَنِي أَبِي قَالَ: أَخْبَرَتْنِي أَسْمَاءُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ قَالَتْ: أَتَتْنِي أُمِّي رَاغِبَةً، فِي عَهْدِ النَّبِيِّ صلّى الله عليه وسلّم، فَسَأَلْتُ النَّبِيَّ: أَصِلُهَا؟ قَالَ: (نَعَمْ). قَالَ ابْنُ عُيَيْنَةَ: فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِيهَا: (لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ) (الممتحنة: 8).

شرحُ الكلمات:

- أمي: اسمها قيلة بنت عبد العزى وقيل قتيلة. ماتت مشركة.

- راغبة: أي طامعة طالبة بِرَّ ابنتها وصلتها، وفي رواية: راغمة: أي وهي كارهة للإسلام ساخطة له.

- في عهد النبي صلّى الله عليه وسلّم: أي في المدة التي عاهد -صلّى الله عليه وسلّم- المشركين في الحديبية.

هذا أيضًا حديث دال على معاملة الوالدين المشركين، نحن نُقرر ونُؤكد أن من أخلاق الإسلام الصلة والبر، ونُؤكد أن الصلة والبر ليست قاصرة على المسلمين بحسب، بل شملت غير المسلمين، لا سيما إذا كانت تربط المسلم صلة نسب بغير المسلمين كالوالدين والأقارب والإخوة. في هذا الحديث: أسماء بنت أبي بكر تحكي فيه أنها قدمت عليها أمها، وأمها كما سماها في الشرح بالكسر وفي بعض المصادر بالضم -قُتيلة بنت عبد العزى- فأتت وهي مشركة وقيل إنها ماتت وهي مشركة، أتت في زمن كان النبي -صلّى الله عليه وسلّم- عاهد فيه المشركين في صلح الحديبية، وكانت أسماء -رضي الله عنها- وقتها زوجة للزبير بن العوام -رضي الله عنه- فاستفتت أسماء -رضي الله عنها- النبي -صلّى الله عليه وسلّم- أن أمها راغبة في برها وقربها والتودد إليها لأن أمها ابتدأت أسماء بالهدية ورغبت من أسماء المكافأة: أن تصلها، أو أنها ترغب أن أسماء تكرمها وتعطيها...إلى آخرة، أو غير هذا المعنى تمامًا أنها راغبة عن الإسلام، فهي متمسكة بالشرك، فهل وهي متمسكة بالشرك يصلح أن أستقبلها؟ هذا لو فهمناها على المعنى الثاني، هل أصلها وهي لا زالت على كفرها؟ هذا سؤال أسماء، فأجابها النبي -صلّى الله عليه وسلّم-: (نعم) وفي رواية: (نَعَمْ صِلِي أُمَّكِ) يعني ولو كانت كافرة، ونزلت هذه الآيات من سورة الممتحنة أنها ما دامت لا تقاتل فلا مانع من وصلها ولو كانت كافرة.

فِقهُ الحديث:

1) جواز صلة القريب المشرك إن لم يكن من المقاتلين ضد المسلمين.

وهي لم تكن مقاتلة وهنا نلحظ أيضًا فضيلة أسماء بنت أبي بكر -رضي الله عنهما- لما تحرت أمر دينها ولم تغلبها عاطفتها تجاه والدتها.

26- حَدَّثَنَا مُوسَى، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ مُسْلِمٍ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ دِينَارٍ قَالَ: سَمِعْتُ ابْنَ عُمَرَ يَقُولُ: رَأَى عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حُلَّةً سِيَرَاءَ تُبَاعُ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، ابْتَعْ هَذِهِ، فَالْبَسْهَا يَوْمَ الْجُمُعَةِ، وَإِذَا جَاءَكَ الْوُفُودُ، قَالَ: (إِنَّمَا يَلْبَسُ هَذِهِ مَنْ لاَ خَلاَقَ لَهُ) فَأُتِيَ النَّبِيُّ -صلّى الله عليه وسلّم- مِنْهَا بِحُلَلٍ، فَأَرْسَلَ إِلَى عُمَرَ بِحُلَّةٍ، فَقَالَ: كَيْفَ أَلْبَسُهَا وَقَدْ قُلْتَ فِيهَا مَا قُلْتَ؟ قَالَ:

(إِنِّي لَمْ أُعْطِكَهَا لِتَلْبَسَهَا، وَلَكِنْ تَبِيعَهَا أَوْ تَكْسُوهَا)، فَأَرْسَلَ بِهَا عُمَرُ إِلَى أَخٍ لَهُ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ قَبْلَ أَنْ يُسْلِمَ.

شرحُ الكلمات:

- حُلَّة سيراء: هي نوع من البرود التي يخالطها حرير.
- لا خلاق له: لا نصيب له في الاخرة.

الغرض من إيراد هذا الحديث أن عمر وصل أخًا له من أهل مكة قبل أن يسلم، "إن الوصل جائز" هذا هو المقصود، أما القصة ففيها أن عمر -رضي الله عنه- رأى حُلّة سيراء، وهي اسم لنوع من الحُلل التي تأتي من اليمن وتكون مميزة يخالطها شيء من الحرير وغيره، وعادة يلبسها العظماء، رآها عمر فرأى أنها تليق بالنبي صلّى الله عليه وسلّم، وقال له: (ابْتَعْ هَذِهِ، فَالْبَسْهَا يَوْمَ الْجُمُعَةِ، وَإِذَا جَاءَكَ الْوُفُودُ) لأن الناس يجتمعون، فالنبي -صلّى الله عليه وسلّم- لم يكن معترضًا على الفكرة، إنما كان معترض على كون فيها حرير، فقال إنما يلبس هذا من لا نصيب له في الآخرة، فأتي النبي -صلّى الله عليه وسلّم- بعد هذا النقاش بين النبي -صلّى الله عليه وسلّم- وبين عمر -رضي الله عنه- من هذا النوع فأرسل النبي -صلّى الله عليه وسلّم- إلى عمر بحلة منها، فعاد عمر -رضي الله عنه- وقال له أنت امتنعت يا رسول الله عن لبسها، كيف ألبسها وأنت قلت فيها ما قلت؟ فالنبي -صلّى الله عليه وسلّم- لم يعطها عمر من أجل أن يلبسها عمر لكن ليستفيد منها.

وهنا يأتي الشاهد؛ أن عمر أرسل بهذه الحُلة لأخ له في مكة، وهذا الأخ كافر والحلة مناسبة له قبل أن يسلم هذا الأخ، الشاهد هو: أنه وصل أخاه رغم كفره، ونحن في باب (بِرِّ الْوَالِدِ الْمُشْرِكِ) فالكفر لا يمنع الصلة.

فِقهُ الحديث:

1) جواز البيع والشراء عند باب المسجد.

2) تحريم الحرير على الرجال وإباحته للنساء، وإباحة إهدائه وإباحة أخذ ثمنه.

هو في اللبس لا يجوز أن يلبسه الرجال إنما النساء يجوز لهنّ، لكن إما أن يهديه الرجل لامرأة أو يهديه لغير المسلمين أو يتاجر فيه فلا مانع من هذا.

3) جواز إهداء الثياب الحرير إلى الرجال لأنَّها لا يتعين لبسُها.

يمكن أن تهدى للرجال حتى يتاجروا فيها أو يهدوها لزوجاتهم أو بناتهم، أو ليعلقوها في أي مكان، لكنه لا يلبسها، لو أهديته ثوب من حرير يجوز حتى لو كان المهدى مسلم لأنه لا يتعين اللبس فيمكن أن يقطعها أو غير ذلك.

4) جواز إهداء المسلم إلى المشرك ثوبًا وغيره

وهذا هو الشاهد.

5) استحباب لبس أنفس الثياب يوم الجمعة والعيد وعند لقاء الوفود ونحوها.

لذا قلنا إن النبي -صلّى الله عليه وسلّم- ما اعترض على فكرة: (فَالْبَسْهَا يَوْمَ الْجُمُعَةِ، وَإِذَا جَاءَكَ الْوُفُودُ) لأنه يستحب أن يلبس أحسن الثياب يوم الجمعة ويوم العيد وعندما يستقبل الناس، لا تقل: أنا زاهد ولا ألبس! عندما تستقبل الناس يجب أن يشعروا أنك تعتني بهم، فلبسك -على ما تستطيع- أحسن الثياب نوع من أنواع إكرام الوفود.

6) جواز صلة الأقارب الكفار والإحسان إليهم.

كما تبين والحمد لله رب العالمين.

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

اللّقاء الثّامن

الثلاثاء: 7جماد أول 1442 هـ

بسم الله الرّحمن الرّحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

نحمد الله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا ونسأله بمنه وكرمه أن يجعلنا ممن تمسك بسنة النبي -صلّى الله عليه وسلّم- فنجا في الدنيا والآخرة، وكان تمسُّكُه بسنة النبيّ سببًا لأن يشرب من حوضه -صلّى الله عليه وسلّم- شربةً هنيئةً لا يظمأ بعدها أبدًا اللهم آمين.

وصلنا في قراءة كتاب (الأدب المفرد) إلى الباب الرابع عشر ونحن نقرأ شرحه، أو التعليق عليه المسمى: (رَشُ البَرَد؛ شَرَح الادَب المُفرَد).

14- بَابُ لاَ يَسُبُّ وَالِدَيْهِ

27- حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ كَثِيرٍ، قَالَ: أَخْبَرَنَا سُفْيَانُ قَالَ: حَدَّثَنِي سَعْدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ حُمَيْدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صلّى الله عليه وسلّم: (مِنَ الْكَبَائِرِ أَنْ يَشْتِمَ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ)، فَقَالُوا: كَيْفَ يَشْتِمُ؟ قَالَ: (يَشْتِمُ الرَّجُلَ، فَيَشْتُمُ أَبَاهُ وَأُمَّهُ).

وهذا الحديث قد مر معنا معناه فيما سبق، ودلالته أن من الكبائر أن يحصل شتم أو لعن من الرجل لوالديه، وقد مر معنا أن الشتم أو اللعن يُمكن أن يكون مباشرًا ويُمكن أن يكون غير مباشر، فالصورة غير المباشرة هي هذه التي وصفها النبي صلّى الله عليه وسلّم، أن يشتم الرجل بوالديه، إما يشتمه هو نفسه أو يشتمه بوالديه، فالرجل الثاني الذي تعدى عليه يقوم بشتم أباه وأمه فيكون هو عرّض والديه للشتم.

شرحُ الكلمات:

- كيف يشتم؟ لما كان طبع السليم يأبى شتم الأبوين، فاستبعد السائل ذلك فبيَّن -صلّى الله عليه وسلّم- أن التسبُّب فيه كالتعاطي نفسه.

ما تفسير استغراب الصحابة (كَيْفَ يَشْتِمُ؟)

هل يمكن أن يشتم أحد والديه؟! استغربوا طبعًا يستغربون لأن الطبع السليم يأبى شتم الأبوين، بل الأبوين مصدر لعز الإنسان، فمن المستبعد أن يشتمهم، فبيّن -صلّى الله عليه وسلّم- أن (نعم)، هذا يأباه الطبع السليم، لكن التسبب كالتعاطي؛ من تسبب في سب والديه كأنه سبهما.

- الرجل: منصوب على المفعولية فيشتم ذلك المسبوب أبا السابِّ وأمه، ويحتمل أن يكون مرفوعًا، أي: يشتم الرجلُ أحدًا.

إذا كان على المفعولية يصبح أنه يشتم ذلك المسبوب أبا الساب وأمه.
وإذا كان مرفوع يكون الأول هو الفاعل، يشتم الرجل أحدًا فيشتم هذا الأحد أباه وأمه.

فِقهُ الحديث:

1) تحريم شتم الوالدين.

2) من عقوق الوالدين تعريضهما للسبّ والإهانة من قبل الآخرين لهما.

بأفعاله يسبب تعريض الوالدين للسب والإهانة.

3) من تسبَّب بفعل كان كفاعله خيرًا أو شرًا.

خرج من الحديث بهذه القاعدة: أنه من تسبب بفعل شيء كان كفاعله.

4) هذا الحديث أصل في سَدّ الذرائع، فما آل إلى فعل محرم يحرم وإن لم يقصد الحرام.

هذه من الشواهد على قاعدة (سدّ الذريعة) سدًّا لجريمة سب الوالدين سُدت الذريعة لذلك وهي: أن يسُبّ الرجل، الرجل.

28- حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سَلاَمٍ، قَالَ: أَخْبَرَنَا مَخْلَدٌ، قَالَ: أَخْبَرَنَا ابْنُ جُرَيْجٍ قَالَ: سَمِعْتُ مُحَمَّدَ بْنَ الْحَارِثِ بْنِ سُفْيَانَ يَزْعُمُ، أَنَّ عُرْوَةَ بْنَ عِيَاضٍ أَخْبَرَهُ، أَنَّهُ سَمِعَ عَبْدَ اللهِ بْنَ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ يَقُولُ: (مِنَ الْكَبَائِرِ عِنْدَ اللهِ تَعَالَى أَنْ يَسْتَسِبَّ الرَّجُلُ لِوَالِدِهِ).

هذا أثر عن عمرو بن العاص رضي الله عنه.

شرح الكلمات:

- يَستسب: يُعرِّضُه للسبّ ويَجُرّه إليه.

في نفس دلالة الحديث، أنه هو الذي يكون سببًا لتعرّض والده بالتصرفات اللئيمة أو الدنيّة فالذي تقع عليه هذه التصرفات يسبه ويسب والده الذي رباه.

فِقهُ الأثر:

1) فيه إثبات انقسام الذنوب إلى الكبائر والصغائر.

2) الواجب على الإنسان الكف عن شتم الناس وشتم آبائهم لأنه سبب لأن يشتمه الناس ويشتموا أباه معه بسببه.

نفس الدلالة التي مضت.

15- بَابُ عُقُوبَةِ عُقُوقِ الْوَالِدَيْنِ

29- حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ يَزِيدَ، قَالَ: حَدَّثَنَا عُيَيْنَةُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي بَكْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ -صلّى الله عليه وسلّم- قَالَ: (مَا مِنْ ذَنْبٍ أَجْدَرُ أَنْ يُعَجَّلَ لِصَاحِبِهِ الْعُقُوبَةُ مَعَ مَا يُدَّخَرُ لَهُ مِنَ الْبَغِيِّ وَقَطِيعَةِ الرَّحِمِ).

شرحُ الكلمات:

- أجدر: أحق وأولى.
- البغي: هو الظلم أو الخروج عن السلطان أو الكبر.
- قطيعة الرحم: أي قطع صلة ذوي الأرحام.

العقوبة المقصود بها: في الدنيا، وما يدخر له المقصود: في الآخرة، البغي: الظلم عمومًا، إذا وقع ظلم بأي صورة من الصور لا بد أن تدور الدائرة والظالم يقع عليه أثر ظلمه، سرًا أو جهرًا، عرف الناس أو لم يعرفوا، النتيجة: أنه لا بد أن يعجل لصاحبه العقوبة، وهذا النوع من تعجيل العقوبة ليس إلا إذاقة لأثر بعض فعله، أما عقوبته في الآخرة -إذا لم يتب- فهي مدخرة له باقية.

وفسّر البغي أيضًا: بالخروج على السلطان. وهناك أحاديث أخرى تؤيد هذا المعنى، والسبب: أن الخروج على السلطان يُفسد حياة الناس فيكون من الظلم فيذوق هو ما فعله.

ويأتي البغي أيضًا بمعنى: الكبر، وأن الإنسان إذا وقعت منه تصرفات فيها كِبر على الخلق عُجل له بالإهانة ولو كانت جُزئية، بحيث أنه أمام كِبَرِه يُهَان، وهذا من تعجيل العقوبة...هذا البغي.

نأتي للذنب الثاني وهو موضوعنا لأن موضوع الباب (بَابُ عُقُوبَةِ عُقُوقِ الْوَالِدَيْنِ)، الذنب الثاني الذي يعجل لصاحبه هو: قطيعة الرحم، وأهم من يطلق عليه قطيعة الرحم هما (الوالدان)، فإذا حصل قطيعتهما، وهنا نقول بالاسم الخاص (عقوقهما) يعجل لصاحبه العقوبة فيجد كدر الحياة بسبب وقوع العقوق.

فِقهُ الحديث:

1) إثبات تعجيل العقوبة للباغين والقاطعين صلة الرحم في الدنيا وتأجيلها في الآخرة.

2) تحريم الخروج عن طاعة الإمام.

3) صلة الرحم واجبة وقطيعتها معصية كبيرة.

البقيّة في الشرح تشير إلى المسألة العامة التي هي: قطيعة الرحم، لكن الشاهد: أن أول ما يدخل في قطيعة الرحم هو: وجود عقوق الوالدين.

30- حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ بِشْرٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا الْحَكَمُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنِ الْحَسَنِ، عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلّى الله عله وسلّم: (مَا تَقُولُونَ فِي الزِّنَا، وَشُرْبِ الْخَمْرِ، وَالسَّرِقَةِ؟) قُلْنَا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: (هُنَّ الْفَوَاحِشُ، وَفِيهِنَّ الْعُقُوبَةُ، أَلاَ أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكَبَائِرِ؟ الشِّرْكُ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ) وَكَانَ مُتَّكِئًا فَاحْتَفَزَ قَالَ: (وَالزُّورُ).

هذا الحديث قد مر معنا ما يشبهه في كون اعتبار أن الشرك بالله وعقوق الوالدين من أكبر الكبائر وتعظيم شأن شهادة الزور. الإضافة هنا إلى أن في الحديث إشارة إلى تسمية شرب الخمر والسرقة والزنا: (الفواحش) وهذه التسمية موجودة في القرآن، معلومة، ويقصد بها: تعظيم هذه الذنوب، أن هذه فَحُشتْ في النفوس، قبحت -كما سيتبين- دلالة هذا النص مرت معنا سابقًا، وهذا الحديث في حكمه: ضعيف. لكن كون أن له شواهد يسمح بإيراده.

شرحُ الكلمات:

- الفواحش: جمع فاحشة، وهو ما عظم قبحه من الأقوال والأفعال.
- العقوبة: العقاب والعذاب، والمراد هنا الحدّ إلى الرَّجِم أو الجَلْدُ أو القطع.

صارت فواحش ما عظم قبحه من الأقوال والأفعال في النفوس السليمة، وعليها العقوبة أن عليها الحد في الزنا سواء كان بالرجم أو الجلد وقطع يد السارق وجلد شارب الخمر.

- الكبائر: جمع كبيرة، وحدُّها المختار: أنها ما ورد فيه وعيد شديد في الكتاب أو في السنة.

-مر معنا هذا الكلام-.

- فاحتفز: استوى جالسًا على ركبتيه أو وركيه.

أي: كان متكئًا، كما في الحديث السابق، وجلس على ركبتيه -صلّى الله عليه وسلّم- عناية بهذا الموضوع.

- الزور: وهو الكذب على الغير.

الزور كلمة كبيرة وعظيمة ويدخل فيها أمور كثيرة، تبتدئ بأمر معروف عند الناس وهي شهادة الزور، يعني أن يشهد أحد لأحد على أحد كذبًا وزورًا، وتدخل في أمور كثيرة في حياة الناس، لكن يأتي إن شاء الله الكلام عنها في بابها.

فِقهُ الحديث:

1) شناعة الشرك بالله وعقوق الوالدين.

2) إنَّ عظم الذنب ومراتبه متفاوتة بتفاوت مفاسده.

3) جلوس الرسول -صلّى الله عليه وسلّم- بعد الاتكاء يدل على تحريم الزور وتعظيم قبحه لأن مفسدته متعدية إلى الغير بخلاف ما معه من المعاصي الأخرى.

هذا الحديث أورده في باب (عُقُوبَةِ عُقُوقِ الْوَالِدَيْنِ) وأورد هنا أن الفواحش فيهن العقوبة -كما هو معلوم- هذه الفواحش التي هي أقل من الشرك بالله وعقوق الوالدين بدليل قوله: (أَلا أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكَبَائِرِ؟) الشرك بالله وعقوق الوالدين وشهادة الزور، فإذا كانت هذه الفواحش فيهن العقوبة المعلومة من الحد والرجم والجلد والقطع، فكيف بالشرك بالله وعقوق الوالدين؟ أكيد أنها أعظم من هذا، لكن -الله أعلم- كيف تجري على صاحبها.

شرب الخمر والزنا وقطع يد السارق أعمال يقام فيها الحد، لكن الشرك وعقوق الوالدين أمور لا يقام فيها الحد لكن الله يجري على صاحبها العقوبة كما في الحديث السابق في نفس الباب، هذا دليل على عظم ذنب الشرك بالله وعقوق الوالدين وشهادة الزور، وأن عقوبتهم الله أعلم بها، منها ما يُعجل له في الدنيا ومنها ما يُدخر له في الآخرة.

16- بَابُ بُكَاءِ الْوَالِدَيْنِ

31- حَدَّثَنَا مُوسَى، قَالَ: حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ، عَنْ زِيَادِ بْنِ مِخْرَاقٍ، عَنْ طَيْسَلَةَ، أَنَّهُ سَمِعَ ابْنَ عُمَرَ يَقُولُ: (بُكَاءُ الْوَالِدَيْنِ مِنَ الْعُقُوقِ وَالْكَبَائِرِ).

فِقهُ الأثر:

1) هذا الحديث والذي مَرَّ في باب: لين الكلام للوالديه برقم/8، هما حديث واحد اختصره الإمام البخاري -رحمه الله- وذكره هنا تحت باب: (بكاء الوالدين) لبيان خطورته.

مر معنا سابقًا، يريد الشارح أن يقول: أنه لما كان هذا الأمر مهم عقد له البخاري بابًا خاصًا، وهذه طريقته، لكن لأن أمرنا في القراءة هنا على الاختصار نعرف أنه لا يكرر الأحاديث بقصد التكرار، إنما جزء من الحديث يريد تكراره وبيانه بحيث أنك لو قرأت أسماء الأبواب تصل إلى تصور عام لهذا الموضوع، لبر الوالدين مثلًا، لمجرد أنه يعقد أبوابًا حتى لو كرر فيها الأحاديث، يعقد أبوابًا لها أسماء تُبيّن لك شيء من الحقائق المتصلة بالموضوع الذي يريد نقاشه.

17- بَابُ دَعْوَةِ الْوَالِدَيْنِ

32- حَدَّثَنَا مُعَاذُ بْنُ فَضَالَةَ، قَالَ: حَدَّثَنَا هِشَامٌ، عَنْ يَحْيَى هُوَ ابْنُ أَبِي كَثِيرٍ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ، أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ يَقُولُ: قَالَ النَّبِيُّ صلّى الله عليه وسلّم: (ثَلاَثُ دَعَوَاتٍ مُسْتَجَابَاتٌ لَهُنَّ، لاَ شَكَّ فِيهِنَّ: دَعْوَةُ الْمَظْلُومِ، وَدَعْوَةُ الْمُسَافِرِ، وَدَعْوَةُ الْوَالِدِ على وَلَدِهِ).

هنا بيان لما أعطى الله -عزّ وجلّ- للوالدين، وهو الدعاء المستجاب في أولادهم، ليس فقط الوالدين الذين دعائهم مستجاب، إنما -كما في الحديث- سيقع ما طلب هؤلاء ولو بعد حين، لا شك أنهن يقعن ولو بعد حين، وذكر الثلاثة: فذكر دعوة المظلوم ودعوة المسافر ودعوة الوالد على ولده.

ربما عندما تقرأ هذا النص يخطر على بالك دعوة الوالد على ولده "دعاء الغضب"، وهذا ليس هو المقصود إنما المقصود دعوة الوالد فيما يخص الولد، والوالد هنا ليس المقصود به الأب إنما من وُلد له، الوالدة والوالد.

شرحُ الكلمات:

- ثلاث دعوات إلخ: لالتجاء صاحبها إلى الله تعالى بصدق الطلب ورقة القلب وانكسار الخاطر.

فِقهُ الحديث:

1) المظلوم لا تُرَدُّ دعوته مسلمًا كان أو كافرًا.

2) دعوة المسافر مستجابة لأن دعاءه لا يخلو من الرِّقة.

3) أهم حقوق العباد حق الوالدين وهما يستحقان التواضع من الولد وتوقيرهما والتلطف لهما بالقول والعمل حتى يدعو لأولاده دعاءً حسنًا مستجابًا عند الله.

في هذا الحديث بيان لبعض الدعوات المستجابات، بمعنى أن الله يستجيب ثلاث دعوات يقينًا ولا يردها أبدًا، وبُدئ بدعوة المظلوم، يعني الدعوة الأولى التي يستجيب الله لها ولا يردها أبدًا: إذا دعا المظلوم على الذي ظلمه، فإن الله يستجيب له ولا يرده ولو بعد حين.

الدعوة الثانية هي: دعوة المسافر، يستجيب الله له ولا يرده أبدًا وهو في حالة السفر بشرط ألا يكون في سفره أمرًا محرمًا.

الدعوة الثالثة التي لا يردها الله عزّ وجلّ: دعاء الوالد على ولده، إذا أخذنا الظاهر إذا عقه وظلمه ولم يبره ويعطيه الحقوق فإن الله يستجيب له ولا يرد دعوته، ويمكن أن يكون دعاء الوالد على ولده يعني لولده من باب تبديل حروف الجر، فإذا دعا الوالد لولده استجاب الله له.

نرى صاحب الشرح إلى أي مذهب اتجه، في فقه الحديث: المظلوم لا ترد دعوته مسلمًا كان أو كافرًا لأنه مظلوم؛ لذلك من يستهين بحق الخدم عمومًا، والكافرات خصوصًا لا يأمن أبدًا أنها تدعو على من ظلمها. المسافر يكون في حال اضطرار ولا ناصر له ولا معين فدعاءه يستجاب.

في كلام الشارح عن دعاء الوالد حمل المعنيين:

حمل المعنى أنك يا ولد تلطف مع والديك لئلا يقع منهم دعاء عليك، وفي نفس الوقت لكي تكسب دعاءهما لك، أخذ المذهبين، هذا وهذا. سنرى البخاري يتجه أي اتجاه:

33- حَدَّثَنَا عَيَّاشُ بْنُ الْوَلِيدِ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الأَعْلَى، قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ، عَنْ يَزِيدَ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ قُسَيْطٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ شُرَحْبِيلَ، أَخِي بَنِي عَبْدِ الدَّارِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ -صلّى الله عليه وسلّم- يَقُولُ: (مَا تَكَلَّمَ مَوْلُودٌ مِنَ النَّاسِ فِي مَهْدٍ إِلَّا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ صلّى الله عليه وسلّم، وَصَاحِبُ جُرَيْجٍ)، قِيلَ: يَا نَبِيَّ اللهِ، وَمَا صَاحِبُ جُرَيْجٍ؟ قَالَ: (فَإِنَّ جُرَيْجًا كَانَ رَجُلًا رَاهِبًا فِي صَوْمَعَةٍ لَهُ، وَكَانَ رَاعِيَ بَقَرٍ يَأْوِي إِلَى أَسْفَلِ صَوْمَعَتِهِ، وَكَانَتِ امْرَأَةٌ مِنْ أَهْلِ الْقَرْيَةِ تَخْتَلِفُ إِلَى الرَّاعِي، فَأَتَتْ أُمُّهُ يَوْمًا فَقَالَتْ: يَا جُرَيْجُ!، وَهُوَ يُصَلِّي، فَقَالَ -فِي نَفْسِهِ وَهُوَ يُصَلِّي-: أُمِّي وَصَلَاتِي؟ فَرَأَى أَنْ يُؤْثِرَ صَلَاتَهُ، ثُمَّ صَرَخَتْ بِهِ الثَّانِيَةَ، فَقَالَ فِي نَفْسِهِ: أُمِّي وَصَلَاتِي؟ فَرَأَى أَنْ يُؤْثِرَ صَلَاتَهُ، ثُمَّ صَرَخَتْ بِهِ الثَّالِثَةَ، فَقَالَ: أُمِّي وَصَلَاتِي؟ فَرَأَى أَنْ يُؤْثِرَ صَلَاتَهُ، فَلَمَّا لَمْ يُجِبْهَا قَالَتْ: لَا أَمَاتَكَ اللَّهُ يَا جُرَيْجُ! حَتَّى تَنْظُرَ فِي وَجْهِ الْمُومِسَاتِ، ثُمَّ انْصَرَفَتْ.

فَأُتِيَ الْمَلِكُ بِتِلْكَ الْمَرْأَةِ وَلَدَتْ، فقال: مِمَّنْ؟ قَالَتْ: مِنْ جُرَيْجٍ، قَالَ: أَصَاحِبُ الصَّوْمَعَةِ؟ قَالَتْ: نَعَمْ، قَالَ: اهْدِمُوا صَوْمَعَتَهُ وَأْتُونِي بِهِ، فَضَرَبُوا صَوْمَعَتَهُ بِالْفُئُوسِ حَتَّى وَقَعَتْ. فَجَعَلُوا يَدَهُ إِلَى عُنُقِهِ بِحَبْلٍ، ثُمَّ انْطُلِقَ بِهِ، فَمَرَّ بِهِ عَلَى الْمُومِسَاتِ، فَرَآهُنَّ، فَتَبَسَّمَ، وَهُنَّ يَنْظُرْنَ إِلَيْهِ فِي النَّاسِ، فَقَالَ الْمَلِكُ: مَا تَزْعُمُ هَذِهِ؟ قَالَ: مَا تَزْعُمُ؟ قَالَ: تَزْعُمُ أَنَّ وَلَدَهَا مِنْكَ، قَالَ: أَنْتِ تَزْعُمِينَ؟ قَالَتْ: نَعَمْ، قَالَ: أَيْنَ هَذَا الصَّغِيرُ؟ قَالُوا: هَذَا هُوَ فِي حِجْرِهَا، فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ فَقَالَ: مَنْ أَبُوكَ؟ قَالَ: رَاعِي الْبَقَرِ. قَالَ الْمَلِكُ: أَنَجْعَلُ صَوْمَعَتَكَ مِنْ ذَهَبٍ؟ قَالَ: لَا، قَالَ: مِنْ فِضَّةٍ؟ قَالَ: لَا، قَالَ: فَمَا نَجْعَلُهَا؟ قَالَ: رُدُّوهَا كَمَا كَانَتْ، قَالَ: فَمَا الَّذِي تَبَسَّمْتَ؟ قَالَ: أَمْرًا عَرَفْتُهُ، أَدْرَكَتْنِي دَعْوَةُ أُمِّي، ثُمَّ أَخْبَرَهُمْ).

هنا حصل منها الدعاء عليه حين لم يجبها في صلاته، ثلاث مرات وكان في حيرة، هل يجبها أم لا يجيبها، فدعت عليه هذا الدعاء عندما لم يجبها، والمومس: المرأة الفاجرة المجاهرة بالفسق.

(ثُمَّ انْصَرَفَتْ. فَأُتِيَ الْمَلِكُ بِتِلْكَ الْمَرْأَةِ وَلَدَتْ) هذه المرأة التي أتى خبرها في أول الحديث، أن جريجًا كان رجلًا راهبًا في صومعة له وحده، والصومعة نفهم أنها عالية فوق شجرة عالية من الشجر المعمر الذي يمكن بناء شيء عليه، أو تلّة عالية وهو يكون فوقها، وفي المقابل

هناك راعي بقر كانت امرأة من أهل القرية تأتي له سرًا، بمعنى أن هناك علاقة بين الراعي وبين المرأة فيها زنا -الله يعيذنا- هذه المرأة -وهم من بني إسرائيل- ولدت وهي ليست ذات زوج.

(فَقَالَ: مِمَّنْ؟) من والده؟ (قَالَتْ: مِنْ جُرَيْجٍ) اتهمت جريج أنه الذي زنا بها.

هذه القصة فيها دلالة على: دعوة الوالدة، وصلنا إلى أن المرأة اتهمت جريجًا بأنه هو الذي زنا بها، فما كان من الملك إلا أن قال: اهدموا صومعته وأتوني به، ففعلوا، وقعت الصومعة، هدموها فربطوا يده إلى عنقه بحبل، ثم انطُلق به، هو لا يخرج من صومعته أصلًا ولا يرى وجوه المومسات ولا غيرهم لكن بسبب هذا الحدث، أنها اتهمته، مر على المومسات فرآهن فتبسم لأنه فهم أن هذه دعوة أمه، والناس كلهم يستغربون أنه يتبسم للمومسات، وصل للملك وقال له ما تزعم هذه؟ يسأله لأجل أن يعرف أن هناك من ادعى عليه، قال تزعم أن ولدها منك، سألها: (أنتِ تزعمين؟ قالت: نعم) وسألها: أين الصغير؟ ولما أشاروا له قال: من أبوك؟ (قال: راعي البقر.)

عندما نعود إلى أول الحديث نسمع النبي -صلّى الله عليه وسلّم- يقول: (ما تكلم مولود من الناس في المهد إلا عيسى بن مريم -صلّى الله عليه وسلّم- -وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم التسليم- وصاحب جريج) وهو هذا الطفل الصغير، لأن جريج من ثقته بالله ويقينه سأله: (من أبوك؟ قال: راعي البقر) ثم حصل الندم من الملك، وشعر بمكانة جريج عند الله الذي جعل براءته بهذه الطريقة، التي هي آية من الآيات، وهذه أمور لا تُستغرب، قال تعالى: {أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ} (يونس: 62-63) هؤلاء قوم اتقوا الله فجعل الله لهم آيات وجعل لهم كرامات، فهذه من الكرامات، نطق عيسى بن مريم من الآيات على نبوته، ونطق صاحب جريج من الكرامات الدالة على مكانة جريج عند الله، وهنا الكرامة لحاجة، ما حصلت إلا لحاجة جريج له.

ومع ذلك ننظر إلى جريج لما حصلت هذه الكرامة، هذا يؤكد لنا أن من كان وليًا لله حقًا، ما يجعل كرامته سببًا لتعظيم الناس له أبدًا، بل يزداد خفاء، لأن الملك لما رأى كرامة الله له ندم أنه أهان واحدًا له عند الله مكانة، فقال: أنجعل صومعتك من ذهب؟ لو أراد التفاخر عليهم لمد يده لهم وأصبحوا يتمسحون ويتبركون به، لكنه رفض حتى هذه العروض، من ذهب ومن فضة، قالوا: فماذا نفعل؟ (قال: ردوها كما كانت) من طين، لا أريد أن أستخدم ما رُزقت من كرامة في أن أعلو عليكم أو أستعبدكم أو أصرف قلوبكم لي، وهذا يدل على التوحيد.

قال الملك: (لماذا تبسمت؟) تبسمك يزيد الشبهة عليك أن ترى المومسات فتتبسم لهم، فأخبرهم الخبر الذي حصل بينهم وبين أمه.

شرحُ الكلمات:

- الراهب: الذي يعتزل الناس ويفرغ لعبادة ربِّه في دير.
- صومعة: مكان مرتفع أو جبل يسكنه المتعبد بقصد الانفراد، ثم أطلِقت على دير النصارى.

الصومعة مكان مرتفع في أشجار معمرة أو تل يسكنه وحده ثم أصبحت الصومعة اسم على الأماكن التي يتعبد فيها النصارى.

- يؤثر صلاته: يمضي في صلاته مُرَجِّحَا حق الصلاة.
- المومسات: المرأة المجاهرة بالفجور.
- بالفؤوس: جمع فأس، الآلة التي يقطع بها الخشب.

فِقهُ الحديث:

1) عظم حق الوالدين وتأكيد حق الأم وأن دعاءها مجاب.

واضح أن الاستجابة حصلت لدعائها، وهذا يؤيد أن البخاري يرى أن دعوة الوالد على ولده على بابها هنا، أنه يدعو على الولد بسبب ظلم الولد أو بسبب خطأ الولد أو بسبب عقوق الولد، لكن يمكن أن تتبادل على أو للولد.

2) إثبات كرامات الأولياء، وهو مذهب أهل السنة خلافًا للمعتزلة.

عرفنا إثبات الكرامات.

3) استحباب الوضوء للصلاة عند الدعاء بالمهمات.

4) إن الوضوء كان معروفًا في شرع من قبلنا، فقد ثبت في هذا الحديث في صحيح البخاري: (فتوضأ وصلَّى).

الظاهر أنه يشير إلى رواية أخرى نحتاج أن نراجعها.

انتهى وقتنا في هذه الجلسة، إن شاء الله نستفتح الباب التالي في الجلسة التالية.

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

اللّقاء التّاسع

الأربعاء: 8جماد أول 1442 هـ

بسم الله الرّحمن الرّحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وصلنا إلى الباب الثامن عشر وهو باب: (عَرْضِ الإِسْلامِ عَلَى الأُمِّ النَّصْرَانِيَّةِ) في دراستنا (لِرَشُ البَرَد؛ شَرَح الادَب المُفرَد)، ولا زلنا في الأبواب الدالة على رضا الوالدين وطلب الله -عزّ وجلّ- أن يكون هذا العمل مقبولًا عنده. إن علاقتنا بالوالدين سواءً كانوا أحياءً أو أمواتًا، من الأعمال العظيمة التي نتقرب بها إلى الله.

سيتبين في الباب التالي أن من مهمات التقرب إلى الله: الدعوة إليه، وهذا الأمر ينطبق على كل أحد حتى على الوالدين.

18- بَابُ عَرْضِ الإِسْلاَمِ عَلَى الأُمِّ النَّصْرَانِيَّةِ

34- حَدَّثَنَا أَبُو الْوَلِيدِ هِشَامُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ، قَالَ: حَدَّثَنَا عِكْرِمَةُ بْنُ عَمَّارٍ قَالَ: حَدَّثَنِي أَبُو كَثِيرٍ السُّحَيْمِيُّ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ يَقُولُ: مَا سَمِعَ بِي أَحَدٌ، يَهُودِيٌّ وَلاَ نَصْرَانِيٌّ، إِلَّا أَحَبَّنِي، إِنَّ أُمِّي كُنْتُ أُرِيدُهَا عَلَى الإِسْلاَمِ فَتَأْبَى، فَقُلْتُ لَهَا، فَأَبَتْ، فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ -صلّى الله عليه وسلّم- فَقُلْتُ: ادْعُ اللَّهَ لَهَا، فَدَعَا، فَأَتَيْتُهَا -وَقَدْ أَجَافَتْ عَلَيْهَا الْبَابَ- فَقَالَتْ: يَا أَبَا هُرَيْرَةَ! إِنِّي أَسْلَمْتُ، فَأَخْبَرْتُ النَّبِيَّ -صلّى الله عليه وسلّم- فَقُلْتُ: ادْعُ اللَّهَ لِي وَلِأُمِّي، فَقَالَ: (اللَّهُمَّ! عَبْدُكَ أَبُو هُرَيْرَةَ وَأُمُّهُ، أَحِبَّهُمَا إِلَى النَّاسِ).

شرحُ الكلمات:

- أجافت: يقال أجاف الباب: إذا ردَّه وأغلقه.
- أحبِّهما إلى الناس: ولفظ مسلم: (اللهم حَبِّب عبدك هذا -يعني أبا هريرة- وأمه إلى عبادك المؤمنين وحَبِّب إليهم المؤمنين).

النبي -صلّى الله عليه وسلّم- أرسل إلى الناس كافة، وكان -صلّى الله عليه وسلّم- غاية في الرحمة بمن تبعه صلّى الله عليه وسلّم، وأبو هريرة كان ممن تبع النبي -صلّى الله عليه وسلّم- وأحبه النبي -صلّى الله عليه وسلّم- وأبو هريرة كان يحب أمه ويحب أن تكون من عباد الله المؤمنين، فما أحبه أبو هريرة -رضي الله عنه- أحبه له النبي صلّى الله عليه وسلّم.

كيف ظهر أن النبي أحب ذلك؟

أنه دعا له، وهذه قصة مشهورة لها أطرافها ويحكي أبو هريرة أنه كان يدعو أمه إلى الإسلام وهي مشركة فأسمعته في حق الرسول وشأنه -صلّى الله عليه وسلّم- ما يكره، تعدت على النبي -صلّى الله عليه وسلّم- فأتى النبي -صلّى الله عليه وسلّم- وهو يبكي من الحُزن والغبن أنه لم يقدر على تأديبها وهي أمه، فسأل الرسول -صلّى الله عليه وسلّم- أن يدعو لها بالهداية، والنبي -صلّى الله عليه وسلّم- غاية في الرحمة، فدعا النبي -صلّى الله عليه وسلّم- وقال: اللهم اهد أم أبي هريرة، فخرج مستبشرًا، واثق أن النبي -صلّى الله عليه وسلّم- إذا دعا له فسيستجب الله له، فخرج مسرورًا ومنشرحًا بدعوة النبي صلّى الله عليه وسلّم. لما وصل إلى باب أمه، وجد الباب مجاف -يعني مردود- فسمعت أمه صوت قدميه، فقالت: مكانك، أي: الزم مكانك يا أبا هريرة، وأخبرته بأنها أسلمت، يعني أتت إليه وقالت: "أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله"، فرجع إلى الرسول -صلّى الله عليه وسلّم- وهو يبكي من الفرح، ثم طلب من النبي -صلّى الله عليه وسلّم- أن يدعو الله أن يحببه هو وأمه إلى عباده المؤمنين ويحببهما له، فدعا الرسول -صلّى الله عليه وسلّم- اللهم حبب عبيدك هذا -يعني أبو

هريرة- إلى عبادك المؤمنين، وحبب إليهم المؤمنين، هذا معنى قوله: (مَا سَمِعَ بِي أَحَدٌ، يَهُودِيٌّ وَلا نَصْرَانِيٌّ، إِلَّا أَحَبَّنِي).

وفي الحديث الثاني: «فما خلق مؤمن يسمع بي ولا يراني إلا أحبني»، هذا أثر دعوة النبي -صلّى الله عليه وسلّم-: (اللَّهُمَّ! عَبْدُكَ أَبُو هُرَيْرَةَ وَأُمُّهُ، أَحِبَّهُمَا إِلَى النَّاسِ) كما في هذه الرواية.

فهمنا أن أبو هريرة -رضي الله عنه- دعا أمه إلى الإسلام وكان ظاهر أنها لم تقبل، ثم لما دعا رسول الله -صلّى الله عليه وسلّم- لها شرح الله صدرها إلى الإسلام.

فِقهُ الحديث:

1) فيه استجابة دعاء رسول الله -صلّى الله عليه وسلّم- وعلى الفور لعين المسئول وهو من أعلام نبوته صلّى الله عليه وسلّم.

كما في رواية مسلم التي ذكرناها، أن أبا هريرة ذهب إلى النبي -صلّى الله عليه وسلّم- وهو يبكي حزنًا وغبنًا وعاد إليها وأظهرت إسلامها، وعاد إليها مرة ثانية وهو يبكي فرحًا.

2) حرص الولد على إسلام أمه من حيث عرضُ الإسلام عليها وطلبُ دعاء الرسول -صلّى الله عليه وسلّم- حتى تعتنقه.

هذا الذي كان من أبي هريرة -رضي الله عنه- أنه عرض عليها الإسلام ومن حرصه أيضًا أنه طلب من النبي -صلّى الله عليه وسلّم- أن تسلم.

نلاحظ أنه قال: (بَابُ عَرْضِ الإِسْلاَمِ عَلَى الأُمِّ النَّصْرَانِيَّةِ) وهذا فيه أحد دلالتين:

- إما أن أم أبا هريرة كانت على النصرانية قبل الإسلام.
- أو أنه استنبط هذا من كون أبا هريرة دعا أمه عمومًا.

هنا يجب أن نراجع لنعرف لماذا خصص البخاري دعاء النصرانية؟

19- بَابُ بِرِّ الْوَالِدَيْنِ بَعْدَ مَوْتِهِمَا

35- حَدَّثَنَا أَبُو نُعَيْمٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ الْغَسِيلِ قَالَ: أَخْبَرَنِي أُسَيْدُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ عُبَيْدٍ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا أُسَيْدٍ يُحَدِّثُ الْقَوْمَ قَالَ: كُنَّا عِنْدَ النَّبِيِّ -صلّى الله عليه وسلّم- فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ! هَلْ بَقِيَ مِنْ بِرِّ أَبَوَيَّ شَيْءٌ بَعْدَ مَوْتِهِمَا أَبَرُّهُمَا؟ قَالَ: (نَعَمْ. خِصَالٌ أَرْبَعٌ: الدُّعَاءُ لَهُمَا، وَالِاسْتِغْفَارُ لَهُمَا، وَإِنْفَاذُ عَهْدِهِمَا، وَإِكْرَامُ صَدِيقِهِمَا، وَصِلَةُ الرَّحِمِ الَّتِي لاَ رَحِمَ لَكَ إِلَّا مِنْ قِبَلِهِمَا).

شرحُ الكلمات:

- أبرّهما: أي أصِلُهما وأُحْسِنُ إليهما.

- إنفاذ عهدهما: أي إمضاء وصيتهما.

اسم الباب: (بَابُ بِرِّ الْوَالِدَيْنِ بَعْدَ مَوْتِهِمَا) وهذا يدل على أن العلاقة لا تنقطع بين الأبناء وآبائهم حتى بعد الموت، هذا من الأبواب المفتوحة دومًا وأبدًا، فلا عذر للأبناء في العقوق لوالديهم سواءً كانوا أحياءً أو أمواتًا.

من جهة أخرى هذا باب مفتوح لمن قصر في حياته في بر والداه في حياتهما، من كان والداه أحياء فليغتنم الفرصة، ومن ماتا أو مات أحدهما فلا يظن أن هذا الباب انتهى، إنما هذا الباب باقٍ مفتوح لأن البر لفظة تعم جميع أعمال الإحسان وتشمل كل خصال الخير في التعامل مع الوالدين أحياء كانوا أو أموات.
في الحديث قال الرجل في حياتهم بررتهم فهل بعد مماتهم هناك شيء لهما؟ فأجاب النبي -صلّى الله عليه وسلّم-: (نعم) وعدد له خصال أربع جعلها من البر المستمر لهم ...

- الأمر الأول: (الدُّعَاءُ لَهُمَا، وَالِاسْتِغْفَارُ لَهُمَا).

معنى ذلك أن الابن سيبقى مرتبطًا بوالديه في كل أوقات إجابة الدعاء، وسيبقى مرتبطًا بوالديه في كل مواطن الاستغفار سواءً في داخل صلاته أو خارجها أو في عمرته أو في حجِّه أو في صدقته يدعو لهما ويستغفر لهما وهذا الأمر باقٍ بعد موتهما، مما يعني أنه كان موجودًا قبل موتهما.

(الدعاء والاستغفار لهما) بهذا لا ينفصل الابن عن والديه أبدًا، يبقى دومًا وأبدًا في أوقات الإجابة ومواطن الدعاء في الصلاة وهو يدعو ويستغفر.

- الأمر الثاني: (إِنْفَاذُ عَهْدِهِمَا).

يعني إمضاء وصيتهما، إذا لم يكن فيها معصية طبعًا.

- يمكن أن نفهمها أنها الوصية المنصوص عليها، التي كتبها الوالد أو الوالدة.

- ويمكن أن تُفهم عاداتهما في الخير، مثلًا: يفعلون شيئًا في شهر رمضان أو الأثنين والخميس وفي المناسبات يفعلونها مع أهلهم، أمور كثيرة يرقبها الأبناء في والديهم، ويحصل على لسان الوالدين أن يقولوا مثلًا: بعد أن أموت لا تتركوا إفطار الصائم في هذا المسجد، أو

الابناء يجدون حرص شديد من الوالد على بعض أعمال البر والإحسان، فيكون هذا نوع من إنفاذ عهدهما.

وهذا النوع من البر عمومًا، وهو الدعاء والاستغفار وإنفاذ العهد وإكرام الصديق وصلة الرحم -كما سيتبين- الإخلاص فيه يكون أكبر بعد موت الوالدين، والإلزام المخلص فيه يكون أكبر من الأبناء.

- الأمر الثالث: (إِكْرَامُ صَدِيقِهِمَا).

قد يموت أحد الوالدين وله أنداد من الجيران أو ممن كانوا معه في أيام العمل أو جارات الأم، هؤلاء الأصدقاء الذين لا ينتقلون ليكونوا صلة رحم، مثلا...في السكن القديم كان له جيران، وكانت هذه الوالدة رغم انتقالنا من البيت حريصة على الصلة بهم أو إعطائهم أو جمعهم، فنكرم الصديق للوالدين، فنذهب له ونقول: نحن أبناء فلان الفلاني والإكرام بكل صورة يكون فيها الإكرام، معنوية كانت أو مادية.

- الأمر الرابع: (صِلَةُ الرَّحِمِ الَّتِي لا رَحِمَ لَكَ إِلَّا مِنْ قِبَلِهِمَا).

هذا الرحم من جهة الوالد أو الوالدة، فما لك صلة بهم إلا من هذه الجهة، هؤلاء خاصة صلة الرحم بهم من أجل ما تتصل بهما من جهة والديك، هناك أرحام لك صلة بهم من جهة أنهم قرابتك، من جهة أنهم عزوتك وقوتك.

وهناك أرحام ليس لك صلة بهم إلا لأنهم لهم قرابة بوالدك أو بوالدتك وليسوا ذوي عزوة فتصلهم لأجل والديك.

فِقهُ الحديث:

1) فيه الحث على الدعاء بالرحمة والمغفرة للوالدين.

وهو قوله: (الدُّعَاءُ لَهُمَا، وَالِاسْتِغْفَارُ لَهُمَا).

2) الحث على إيفاء العهد الذي كان بين والديه وشخص آخر وتوفيّا قبل إنجازه.

وهو قوله: (إِنْفَاذُ عَهْدِهِمَا).

3) من تمام البرّ والصِّلة الإكرام والإنفاق على أصدقاء الوالدين وأصحابهما.

وإن كانوا أغنياء، لكن هذا من باب الإكرام، حتى لو كانوا أغنياء.

هذا يتطلب منا أن نكون متنبهين من صديقات الوالدة ومن أصدقاء الوالد، وهذا أمر لا يخفى في البيت إلا على من عاش لنفسه ولا يدري من أصدقاء والديه ومن أعدائهما، لكن العادة التي عليها المسلمين من التكاتف والاجتماع لابد أن تكون سير هؤلاء موجودة في البيت معروفة عند الأبناء.

4) فيه فضل صلة الأرحام، وأن الإنسان لا يستحق هذا الفضل إلا بسبب الوالدين.

جملة: (الَّتِي لا رَحِمَ لَكَ إِلَّا مِنْ قِبَلِهِمَا)، أن هذا من فضل الله عليك أن صار لك أرحام وعزوة بسبب والديك، فهذا من تفضل الله عليك أن تكون لك عزوة بسببهما.

36- حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ يُونُسَ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرٍ، عَنْ عَاصِمٍ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: (تُرْفَعُ لِلْمَيِّتِ بَعْدَ مَوْتِهِ دَرَجَتُهُ. فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ! أَيُّ شَيْءٍ هَذِهِ؟ فَيُقَالُ: وَلَدُكَ اسْتَغْفَرَ لَكَ).

نسأل الله أن يغفر لوالدينا ويرحمهما رحمة واسعة، هذا معناه أن أثر استغفار الأبناء لوالديهم يجري عليهم مباشرة، وهذا وإن كان من كلام أبي هريرة -رضي الله عنه- لكن له حكم المرفوع، لأن هذه الأخبار لا يمكن أن تكون من عنده، لا بد أن يكون أتاه من النبي -صلّى الله عليه وسلّم- خبر. الرجل ميت وترفع درجته بعد موته، فيقول: هذا ليس من أعمالي! فيقال: ولدك استغفر لك، معنى ذلك أنها تجري عليه مباشرة من حصول الاستغفار من الأبناء.

فِقهُ الأثر:

1) فضل استغفار الولد في حق والديه.

2) الاستغفار سبب لرفع الدرجات.

3) استجابة دعاء الولد الصالح لأبويه.

في مقابل أنه مر معنا أن الأبوين تستجاب دعوتهما في الابن، والابن أيضًا تستجاب دعوته في الأبوين، خصوصًا بعد موتهما، ويكون سببًا مباشرة لرفع درجتهما وهذا من فضل الله أن يحصل التبادل بعد الموت، فكما كانت دعوتهم مستجابة في حقك، تصبح دعوتك مستجابة في حقهم -سبحان ربنا العظيم- كما أنهم رعوك وأنت صغير مطلوب منك أن ترعاهم وهم كبار.

ومسألة تبادل الأدوار لو نظرت لها في السن والخبرة وأحوال الإنسان ستجد أن الإنسان شعوريًا يستطيع أن يكون في هذا الدور، الإنسان بعد أن يفقد والديه، لو كان سوي وعاطفته سوية، سيكون في قلبه من الشفقة عليهما ما يمكن أن يساوي شفقتهما عليه وقتما كان صغيرًا، فيكون دعاؤه لهما بعد موتهما كحال دعائهما له وقت حياتهما، بسبب وجود الشفقة، كلما كبر الإنسان وكلما تصور الأمور ورأى أبناءه وشعر بمعنى البر ومعنى الإحسان، كلما انعكس هذا على علاقته بوالديه، عندما يفهم هذا الأمر يكون والديه ماتوا، الجواب: لا زال هناك أبوابًا للبر حتى بعد نضجك عاطفيًا وفهمك لحقيقة علاقتك بوالديك حتى لو تأخرت؛ فالحمد لله لا زال هناك باب مفتوح لك، هذا من نعمة الله ومن فضل الله ومنته علينا أن يكون الأمر بهذه الصورة، الحمد لله يشكر رب العالمين على ما امتن به.

37- حَدَّثَنَا مُوسَى، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلاَّمُ بْنُ أَبِي مُطِيعٍ، عَنْ غَالِبٍ قَالَ: قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ سِيرِينَ: كُنَّا عِنْدَ أَبِي هُرَيْرَةَ لَيْلَةً، فَقَالَ: (اللَّهُمَّ اغْفِرْ لأَبِي هُرَيْرَةَ، وَلِأُمِّي، وَلِمَنِ اسْتَغْفَرَ لَهُمَا). قَالَ (لِي) مُحَمَّدٌ: فَنَحْنُ نَسْتَغْفِرُ لَهُمَا؛ حَتَّى نَدْخُلَ فِي دَعْوَةِ أَبِي هُرَيْرَةَ.

وكل من سمع الحديث، هذا فيه إشارة إلى أن أبا هريرة -رضي الله عنه- غاية في العناية بأمه ابتداءً من دعوتها إلى الإسلام وطلبه النبي -صلّى الله عليه وسلّم- ذلك وانتهاءً بكون كل ما جلس استغفر لنفسه ولأمه وربط هذا الاستغفار بأمر زائد على ذلك يبقى له إلى يوم القيامة، يقول: (اللَّهُمَّ اغْفِرْ لابِي هُرَيْرَةَ، وَلِأُمِّي، وَلِمَنِ اسْتَغْفَرَ لَهُمَا) حتى يوم القيامة، فيقول محمد بن سيرين: (فَنَحْنُ نَسْتَغْفِرُ لَهُمَا؛ حَتَّى نَدْخُلَ فِي دَعْوَةِ أَبِي هُرَيْرَةَ)، الآن نحن في هذا المجلس نقول: اللهم اغفر لأبي هريرة ولأمه، لأجل أن ندخل في استغفار أبو هريرة لنا، هذا الحرص الشديد على أن يغفر له ولأمه أمر عجيب.

كلما تذكرت هذا الحديث استغفر لأبي هريرة وأمه لتدخل في استغفار أبو هريرة، وأبو هريرة من الصحابة الكرام الذين يستجاب دعاؤهم، يعني يوم القيامة تجد مغفرة ذنوب بسبب دخولك في دعاء أبو هريرة رضي الله عنه.

فِقهُ الأثر:

1) اهتمام الصحابة والتابعين بسؤال المغفرة لأنفسهم ولوالديهم وللمستغفرين لهما.

كل الشاهد هنا أن الاستغفار لوالديهم.

انتهت جلستنا هذه، نسأل الله -عزّ وجلّ- بمنه وكرمه أن يغفر لنا ويرحمنا ويجعلنا ممن أحسن لوالديه أحياءً كانوا أو أمواتًا، ونسأله -سبحانه وتعالى- أن يجعل برنا لوالدينا عملًا خالصًا لوجهه اللهم آمين.

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

اللّقاء العاشر

الخميس: 9جماد أول 1442 هـ

بسم الله الرّحمن الرّحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

نحمد الله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا، ونسأله بمنه وكرمه أن يجعلنا من أهل الإيمان والتقوى المتمسكين بسنة النبي -صلّى الله عليه وسلّم- المتعلمين لها العاملين بها الناشرين لها الراغبين في اتباعه واتباع سنته -صلّى الله عليه وسلّم- رغبة في النجاة، يوم القيامة اللهم آمين.

وصلنا إلى الحديث الثامن والثلاثون في كتاب: (رَشُ البَرَد؛ شَرَح الادَب المُفرَد) بَاب: (بِرِّ الْوَالِدَيْنِ بَعْدَ مَوْتِهِمَا)...

38- حَدَّثَنَا أَبُو الرَّبِيعِ، قَالَ: حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ جَعْفَرٍ، قَالَ: أَخْبَرَنَا الْعَلاَءُ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ -صلّى الله عليه وسلّم- قَالَ: (إِذَا مَاتَ الْعَبْدُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلاَثٍ: صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ).

شرحُ الكلمات:

- عمله: أي ثواب عمله.
- صدقة جارية: كالأوقاف.
- أو علم ينتفع به: كالتعليم والتصنيف.
- ولد صالح: قُيِّد بالصالح، لأن الأجر لا يحصل من غيره.

هذا الحديث تابع للأحاديث التي في باب: (بِرِّ الْوَالِدَيْنِ بَعْدَ مَوْتِهِمَا) هذا الحديث يدل على أن هذا العبد عندما يموت سينقطع عمله الذي يحصله بنفسه لكن قد تفضل الله -عزّ وجلّ- عليه بفضل عظيم، وهو أن هناك بعض الأعمال تبقى لا تنقطع، هذه الأعمال مشهورة معروفة لكنها هنا أتتنا كشاهد على هذا الموضوع المهم وهو: أن الأولاد ثروة عند والديهم بحيث أن عمل الأبناء امتداد لعمل الآباء، معنى ذلك أن الآباء سيكونون حريصين على تربية أبنائهم أحسن تربية في حياتهم لأجل إن حصل الموت بقي العمل مستمر بهؤلاء الأبناء.

الأصل: انقطاع العمل عند الموت، العمل هنا يُقصد به: الذي من أجله أنت موجود وهو: العبادات التي كُلفت بها في حياتك، عمر الإنسان عبارة عن الوقت الذي يقضيه في هذه الحياة لأجل طاعة الله وإذا مت انتهى، انتقلت إلى دار الجزاء، الأصل أن تستغل حياتك قبل فوات الأوان، وتعمل أعمالًا لكي تستمر هذه الحياة التي تكسب فيها حسنات بعد انقطاع الحياة،

أتى الحديث الذي يدلنا على ذلك؛ انقطع عنه عمله الذي يرتب عليه الأجر، إلا من ثلاث أعمال تبقى الأجور تجري عليك فيها.

- الأمر الأول: (صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ).

وهي القائمة المنتفع بها فأجرها مستمر لصاحبها، الأصل أن هذه الصدقة الجارية تكون من عمل الإنسان نفسه، يتصدق في حياته وتستمر بعد موته، هذا الأصل، لكن لا يمنع أن يكون أيضًا ابناؤه أو أحبابه يجعلون له صدقة بعد موته، لكن الأصل أن الصدقة الجارية التي أنت وأنت حي تفعلها لنفسك بحيث تبقى جارية.

أحسن الصدقات الجارية اليوم التي تسمى في الفقه الإسلامي: (الأوقـــاف) وهي من أوسع أبواب الخير التي تسبب في العالم الإسلامي التكافل والتعاون بين أفراد المجتمع -والحمد لله- الآن بدأنا نعود إلى شيء من النهضة في الوعي بالأوقاف لأن في الثلاثين سنة الماضية، أو أكثر، خمدت مسألة الأوقاف خمودًا بسبب جري الناس وراء الدنيا وعدم تنبههم لهذا الباب العظيم، ولا زال الناس يجرون إلى الدنيا، لكن بدأ التنبه أن هذه الأوقاف خير كثير وفيها نفع كثير للخلق.

المقصود أن هذه الأوقاف افعلها في حياتك، يفعلها عنك أحبابك بعد مماتك، فيها خير نعم، لكن ليس مثلما تكون صحيح شحيح أنت بنفسك تفعل لك هذه الأفعال، من المؤسف أن نقول إن كثير من الأبناء بعد أن تتوزع عليهم التركات يتهاونون في حق آبائهم وفي حق من كان المال أتى من جهته، وهذا مؤسف لكن انظروا الواقع وتصوروا مستقبلكم بالواقع الذي نعيشه، الواقع يقول إنهم يجرون وراء شهواتهم وينسون والديهم ولا يفكرون فيهم ولا يفكرون في الأوقاف لهم.

هذا الباب مهم نتوسع به، اليوم أنت يمكن أن تقيم الأوقاف وحدك ويمكن أن تساهم في الأوقاف، ويكون المبلغ الذي وضعته وقفًا، أو هذا الكتاب أو المصحف أو قطعة الأرض التي وقفتها لمصاريف الخير.

الأوقاف شيء مهم لحصول أمرين فيها:

- الأول: الاستمرار.
- الثاني: النفع المتخصص.

في تاريخ العالم الإسلامي وصلت دقة الأوقاف إلى أن كانت هناك أوقاف حتى على "الصحن المكسور"، هذا كان في الشام، كانوا يأخذون آنيتهم ينقلون فيها طعام، فيأتي الطفل الصغير يبكي وقد كسر آنيته فيعطونه بدلًا عنها، قد يكون صاحب الوقف حصل له موقف بسبب صحن مكسور ففكر في هذا الوقف، إلى هذه الدرجة كانت الأوقاف نافعة، وهو سيأخذ أجرًا كونه جبر هؤلاء، فميزة الأوقاف: الاستمرار والتخصص الذي يمكن أن يكون دقيق جدًا، لن يقول لك أحد: سأتصدق بمال من أجل سداد كهرباء بيوت الناس، لكن يضع أحد ممن يعين الأسر، يضع وقفًا على الحاجات المتصلة بأغراض الناس لإقامة بيوتهم، من كهرباء وماء أو من أدوات كهربائية أو من أثاث لبيوت المتزوجين، أو أصرف على المتزوجين أو أشارك في دفع المهر أو أشارك في حفل زواج متواضع لأجل من لا يستطيع أن يقيم الحفل، أو أقوم بوليمة عشاء أو أفعل كذا...هذه التخصصات كلها تسد على المسلمين حاجاتهم، في مقابل أنك عندما تتصدق على أحد تسد لهؤلاء الأشخاص سواءً كانت هذه الحاجة أو غيرها، لكن الأوقاف تستثمر وتسد الحاجات الشديدة عند الناس وفي كل زمان على حسبه.

مثلًا: هناك أوقاف على نشر العلم وعلى أمور طبية، مثلًا: على مرضى الكلى -الله يشفيهم جميعًا- أو على مرضى القلب أو مرضى السرطان -الله يشفيهم ويحمينا ويحفظنا من كل شر- هذه الأشياء تفيد المجتمع، مثلًا: دعم الأبحاث لمرضى السرطان أو دعم المستشفيات التي يعالج فيها هؤلاء، عندما تقول لأحد: تصدق علينا لنعمل بحث طبي لن يتصدق عليك أحد! لكن الأوقاف تفعل ذلك، أن تقول: أنا أريد لمرضى السرطان. فتكون النتيجة: أن المسؤولين عن الوقف يضعونها في المكان المناسب لمرضى السرطان، سواءً كان في أبحاث أو شراء أجهزة فتُفيد هذا ومن بعده، فبدلًا من أن تعطي المريض الذي تعرفه المال ليعالج يكون الوقف يشتري للمستشفى هذه الأجهزة، فتقل تكلفتها على كثير من المرضى.

في هذه العجالة لا نستطيع أن نحكي كم للأوقاف من خيرية على المجتمع، وفيها الأمران: الاستمرار والنماء وفيها التخصص الذي يصعب عليك أن توجده كفرد، وقد قامت بيوت وأجرى الله على يد هؤلاء من الخير للمجتمع شيء كثير، فننصح أنفسنا ألا نترك أبواب الأوقاف أبدًا مهما قلّت ذات اليد، اليوم هناك مساهمات في الأوقاف، ليس شرطًا أن يكون عندك رأس مال كبير لتقوم بالوقف، يلام أصحاب رؤوس الأموال أنهم لا يستثمرون لآخرتهم

-شيء مؤسف- لكن الكلام عمن يده ضيّقه يقال له: لا تقلق حتى أنت تستطيع أن تساهم في الأوقاف -والحمد لله- الذي جعل الباب بهذه الطريقة.

أطلنا في هذا الموضوع وهو ليس موضوعنا الأساسي لكن لا بأس إن شاء الله أن يكون في الكلام ما ينفع.

- الأمر الثاني: (عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ).

واليوم -الحمد لله- هذا الباب أيضًا واسع، أن تكون معلم وتصنف ولك طلبة، وأيضًا اليوم التسجيلات أبقت خيرًا كثيرًا لمن يعلم، والشرط: أن يكون علمًا نافعًا خالصًا لوجه الله -الله يجعل علمنا وتعليمنا خالصًا لوجهه ويرزقنا الإخلاص في كل عمل- وهذا العلم الذي ينتفع به يدخل في باب الأوقاف، فمن فضل الله أنه حتى العلم يمكن أن توقف عليه مال وتكون بذلك قد جمعت بين الصدقة الجارية وبين العلم الذي ينتفع به، بمعنى أنك لو أوقفت تكون صدقتك جارية، ولو أوقفت في باب العلم تكون صدقتك جارية ويكون علم ينتفع به، فتجمع بين الاثنين، وسيتبين في الذي بعده أن رأس المسألة هي الصدقة الجارية.

- الأمر الثالث: (وَلَدٍ صَالِحٍ)

وأول ما يتبادر إلى الذهن أن يكون من صلبك فيكون (وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ) فيدعو لك، لكن يمكن ألا يكون الولد الصالح من صلبك، يمكن أن يكون هذا الذي كفلته بالصدقة الجارية، ويمكن أن يكون هذا الولد الصالح الذي كفلته في حياته، أو الولد الصالح الذي كفلته في العلم، تكفلت بحفظه لكتاب الله، فيكون ولدًا صالحًا أيضًا.

إذًا الصدقة الجارية التي هي مثل الأوقاف تأتي بالعلم النافع وتأتي بالولد الصالح، لأن هناك أناس ما قُدّر لهم أن يكون لهم أولادًا فلا يتمتعون بهذا؟! الحمد لله يتمتعون بالولد الصالح من جهة كونهم ينفقون على تعليمه العلم الشرعي أو تعليمه مهنة تجعله بعيدًا عن الذل للناس، ما دام لا يوجد معصية في الموضوع.

هذه الثلاثة يهمنا منها: الولد الصالح الذي يدعو لوالديه بعد انقطاع أجلهما، وهذا يؤيد النص السابق.

فِقهُ الحديث:

1) فيه دليل لعدم انقطاع الثواب للأعمال الصالحة.

تبقى الأعمال الصالحة ما تنقطع وهي هذه الثلاثة خاصة.

2) الحث على التزوّد بالأعمال الصالحة للآخرة.

خطة الحياة أن تستثمر حياتك وتعمل أعمالًا حتى تبقى لك بعد موتك.

3) الحض على وقف أعمال يستمرَ نفعها مثل بناء المساجد والمدارس وحفر الآبار، وكلها صدقة جارية.

4) بيان فضيلة العلم والحث على الاستكثار منه والترغيب في توريثه بالتعليم والتصنيف والإيضاح.

5) وفيه أن الدعاء والصدقة يصل ثوابهما للميت.

6) الحث على تربية الأبناء وتعليمهم ليكونوا صالحين.

لأن الشرط أن يكون صالحًا.

7) وفيه طلب الزواج من المرأة الصالحة لطلب الولد الصالح الداعي في ظهر الغيب.

كأنه ما يأتي الولد الصالح إلا من امرأة صالحة لأنها هي القائمة على تربيته.

39- حَدَّثَنَا يَسَرَةُ بْنُ صَفْوَانَ، قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مُسْلِمٍ، عَنْ عَمْرٍو، عَنْ عِكْرِمَةَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ أُمِّي تُوُفِّيَتْ وَلَمْ تُوصِ، أَفَيَنْفَعُهَا أَنْ أَتَصَدَّقَ عَنْهَا؟ قَالَ: (نَعَمْ).

فِقهُ الحديث:

1) فيه جواز الصدقة عن الميت وأنَّ ذلك ينفعه بوصول ثواب الصدقة إليه.

كنا نقول يوقف في حياتك خير لك لكن لا يمنع هذا أن الصدقة تنفع، ونحن أصلًا تحت باب: (بِرِّ الْوَالِدَيْنِ بَعْدَ مَوْتِهِمَا)، فهذا الرجل سأل النبي -صلّى الله عليه وسلّم- أن أمه توفت ولم توص بوصية أن تصدقوا عني أو افعلوا كذا، فهل لو تصدقت ينفعها؟ نعم، ينفعها وتكون الولد الصالح الذي نفع والدته لأنه يصل ثواب الصدقات إلى الوالدين بعد موتهما، بل تصل لكل من تتصدق عنه، ليس شرطًا الوالدين لكن هنا الكلام عن الوالدين وأنك تستطيع أن تنفعهما وتبرهما بعد موتهما.

20- بَابُ بِرِّ مَنْ كان يَصِلُهُ أبوه

40- حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ صَالِحٍ قَالَ: حَدَّثَنِي اللَّيْثُ، عَنْ خَالِدِ بْنِ يَزِيدَ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ دِينَارٍ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ: مَرَّ أَعْرَابِيٌّ فِي سَفَرٍ، فَكَانَ أَبُو الأَعْرَابِيِّ صَدِيقًا لِعُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَقَالَ لِلأَعْرَابِيِّ: أَلَسْتَ ابْنَ فُلاَنٍ؟ قَالَ: بَلَى، فَأَمَرَ لَهُ ابْنُ عُمَرَ بِحِمَارٍ كَانَ يَسْتَعْقِبُ، وَنَزَعَ عِمَامَتَهُ عَنْ رَأْسِهِ فَأَعْطَاهُ. فَقَالَ بَعْضُ مَنْ مَعَهُ: أَمَا يَكْفِيهِ دِرْهَمَانِ؟ فَقَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صلّى الله عليه وسلّم: (احْفَظْ وُدَّ أَبِيكَ، لاَ تَقْطَعْهُ فَيُطْفِئَ اللَّهُ نُورَكَ).

هذا الباب فيه إشارة إلى ما مضى الكلام عنه، في باب (بِرِّ الْوَالِدَيْنِ بَعْدَ مَوْتِهِمَا)، مر معنا في هذا الباب: (إِكْرَامُ صَدِيقِهِمَا)، الآن عقد البخاري باب يزيد هذا المعنى ويبين موقف ابن عمر -رضي الله عنه- من صديق عمر.

ابن عمر كان مسافرًا ومر على هذا الأعرابي في السفر، أبو هذا الأعرابي صديق لعمر رضي الله عنه، ابن عمر يذكر فلانًا صاحب أبوه، قال له: (أَلَسْتَ ابْنَ فُلانٍ؟) قال: (بَلَى) فأمر ابن عمر بحمار كان يسير وراءهم ما عليه أحد فأعطاه للأعرابي ونزع عمامته من رأسه، وهذا ما يملكه، والعمامة تنفعه فأعطاها للأعرابي، الناس الذين كانوا مع ابن عمر رأوا أن ابن عمر زاده في العطية، قالوا: (أَمَا يَكْفِيهِ دِرْهَمَانِ؟) أما يكفي أن تعطيه درهمين؟! أعرابي ما له في هذه الأمور، درهمان كانت تكفيه، فهو ما نظر إلى ما يكفي الأعرابي، هو نظر لما يشفي قلبه هو ابن عمر في بره لوالده عمر في صلة صديقه، صديقه ليس موجود، لكن ابن صديقه

موجود لكن هذا برّ بالصديق، برّ ابن الصديق برًا بالصديق، وهذا أمر يجعل الصلات بين الناس غاية في القوة وغاية في الإخلاص لوجه رب العالمين.

عندما تكونين في موقف وتسمعين اسم فلانه أنها ابنة فلان الفلاني الذي كان صاحب والدك، فتقومين لها وتكرمينها وتقبلين عليها وتخصينها بسلام خاص وتهدينها وتحسنين إليها، مهما كان حال الابنة، يهمني أنها ابنة فلان الذي كان صديق لوالدي.

ابن عمر يقول: قال النبي صلى الله عليه وسلم: (احْفَظْ وُدَّ أَبِيكَ ، لَا تَقْطَعْهُ فَيُطْفِئَ اللَّهُ نُورَكَ). وفي لفظ آخر: (إِنَّ أَبَرَّ الْبِرِّ أَنْ يَصِلَ الرَّجُلُ أَهْلَ وُدِّ أَبِيهِ) هذا كله -كما مر معنا- يتجلى فيه الإخلاص، لا يهمك الآن أي أمر غير أن هؤلاء أهل ودّ أبي، فما يهمني هو أن ينظر الله إليَّ وأنا أصل أهل ودّ أبي لأجل أبي لأجل أن الله جعل هذا بابًا مفتوحًا لبرهما بعد موتهما.

شرحُ الكلمات:

- يستعقب: أي: كان ابن عمر يستصحب خلفه حمارًا يستريح عليه إذا ضجر من ركوب البعير (النووي).

يعني أن هذا الحمار ليس مشغولًا إنما كان يجعله وراء قافلته التي تمشي لأنه كان على الإبل إذا تعب منها ركب الحمار.

- وُدّ أبيك: بضم الواو أي: محبته، وبكسرها أي: صديقه.

فِقهُ الحديث:

1) الحث على صلة أصدقاء الأب والإحسان إليهم وإكرامهم، وهو متضمن لبِرِّ الأب وإكرامه لكونه بسببه.

أنت تبره بسبب أنهم أهل محبة الوالد وهذا لأجل الله -عزّ وجلّ- وهنا يتجلى الإخلاص.

2) الوعيد على هَجْر أصدقاء الأب بأن ذلك يطفيء نور الإيمان.

سبحان الله! شيء خطير، الآن مع توسع المدن وضخامتها أصبح هذا الأمر شبه مستحيل عند كثير من الناس، لكن الأصل أن الناس يعيشون متقاربين يعرف بعضهم بعضًا، وهنا هذا

أعرابي وجده ابن عمر في السفر فأيضًا فيه بُعد لكن الصادق الله ييسر له الأمور التي بها يظهر إخلاصه لوالديه وصدقه في برهما.

41- حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ يَزِيدَ، قَالَ: حَدَّثَنَا حَيْوَةُ قَالَ: حَدَّثَنِي أَبُو عُثْمَانَ الْوَلِيدُ بْنُ أَبِي الْوَلِيدِ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ دِينَارٍ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ، عَنْ رَسُولِ اللهِ -صلّى الله عليه وسلّم- قَالَ: (إِنَّ أَبَرَّ الْبِرِّ أَنْ يَصِلَ الرَّجُلُ أَهْلَ وُدِّ أَبِيهِ).

هذا يؤيد حديث ابن عمر رضي الله عنه.

شرحُ الكلمات:

- إن أبرّ البر: أي: أفضله بالنسبة إلى والده وكذا الوالدة.
- أهل ودّ أبيه: بضم الواو بمعنى المودّة أي: أصحاب مودته ومحبته.

هذا أبرّ البر: أي: أفضل البرّ للوالد والوالدة.

فِقهُ الحديث:

1) فيه فضل الصلة مع أصدقاء الأب بعد موته، وتلتحق به صديقات الأم وأصدقاء الأجداد والمشائخ والزوج والزوجة كما هو ثابت في حديث آخر، ومواساة النبي -صلّى الله عليه وسلّم- لصديقات خديجة -رضي الله عنها- وصلته لهن معروفة.

بهذا سيكون هناك توسع، سواءً كان الأب أو الأم أو أصدقاء الأجداد، هناك أحفاد سيدركون أجدادهم ويدركون أصحابهم، أيضًا يتوسع الأمر في الزوج والزوجة، الزوج يكرم صديقات الزوجة، يكرمهم ليس على ما يتصورن يكونون نساء كبار فيرسل لهنّ ويجعل بناته يصِلُوهنّ مثل موقف مواساة النبي -صلّى الله عليه وسلّم- لصديقات خديجة -رضي الله عنها- من قوة المواساة لصديقات خديجة -رضي الله عنها- أن عائشة -رضي الله عنها- غارت مع عدم وجود خديجة -رضي الله عنها- لكن من ودّه لخديجة -رضي الله عنها- ود أختها وودّ صديقاتها.

فهذا باب واسع، فيه أن الإنسان لا يهجر الخلق الذين كان لهم ودّ بمن له هو ودّ لهم، لا تهجرهم، فتبقى الصلات الاجتماعية على أعلى درجة تتصور، والحمد لله الذي جعل هذا الدين كاملًا، وجعل شرعه واضح الأثر لمن استقام عليه، في صلاح النفس وصلاح المجتمع، نسأل الله -عزّ وجلّ- أن يصلحنا ويصلح بنا ويصلح مجتمعاتنا على منهج النبوة الكامل.

اللّقاء الحادي عشر

الأحد: 19جماد أول 1442 هـ

بسم الله الرّحمن الرّحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

نبدأ في هذه الجلسة بإكمال الأحاديث الخاصة ببر الوالدين من كتاب (رَشُ البَرَد؛ شَرَح الادَب المُفرَد):

21- بَابُ لاَ تَقْطَعْ مَنْ كَانَ يَصِلُ أَبَاكَ فَيُطْفَأَ نُورُكَ

42- أَخْبَرَنَا بِشْرُ بْنُ مُحَمَّدٍ، قَالَ: أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللهِ، قَالَ: أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ لاَحِقٍ قَالَ: أَخْبَرَنِي سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ الزُّرَقِيُّ، أَنَّ أَبَاهُ قَالَ: كُنْتُ جَالِسًا فِي مَسْجِدِ الْمَدِينَةِ مَعَ عَمْرِو بْنِ عُثْمَانَ، فَمَرَّ بِنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ سَلاَّمٍ مُتَّكِئًا عَلَى ابْنِ أَخِيهِ، فَنَفَذَ عَنِ الْمَجْلِسِ، ثُمَّ عَطَفَ عَلَيْهِ، فَرَجَعَ عَلَيْهِمْ فَقَالَ: مَا شِئْتَ عَمْرَو بْنَ عُثْمَانَ؟ (مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلاَثًا)، فَوَالَّذِي بَعَثَ مُحَمَّدًا -صلّى الله عليه وسلّم- بِالْحَقِّ، إِنَّهُ لَفِي كِتَابِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، (مَرَّتَيْنِ): (لاَ تَقْطَعْ مَنْ كَانَ يَصِلُ أَبَاكَ فَيُطْفَأَ بِذَلِكَ نُورُكَ).

شرحُ الكلمات:

- ما شئت: افعل ما شئت يا عمرو.
- مرتين أو ثلاثًا: لم يلتفت عمرو بن عثمان إلى عبد الله بن سلام وأعرض عنه فلم تُعجبه معاملته هذه، فذكر له أنه كان بينه وبين والده عثمان بن عفان وُدٌّ.
- كتاب الله: المراد به التوراة.

فِقهُ الأثر:

1) مضى شرحه برقم/40 في باب: برّ من كان يصله أبوه.

هذا الحديث معناه مر معنا وهو صلة ودّ الوالد لكن الحدث هنا فيه زيادة تحتاج إلى تأمل، هذا الموقف كان بين عبد الله بن سلّام وبين عمرو بن عثمان -رضي الله عنه- والذي يظهر أن الفتنة كانت قد وقعت، كان عمرو بن عثمان جالسًا في مجلس في المدينة ومر عليه ابن سلّام متكئًا على ابن أخيه، ودخل عليهم لكن عمرو بن عثمان أعرض عنه ولم يلتفت إليه ولم يكن هذا مسلكًا صحيحًا منه، فرجع عبد الله بن سلّام قال له: افعل ما شئت، يعني: أعرض أو لا تعرض، شأنك، وفي كتاب الله يقصد في التوراة، هو يقصد: أنّ لي علاقة بوالدك عثمان وكنت من أهل وده وكان يحبني فما الذي يجعلك تجفوني حتى لو ما قبلتني، أو رأيت شيء لم يناسبك فعظّم حق والدك وأني كنت أهل ودّه ومن ثم اجعل هذا التعظيم احترامًا لي.

هذا الأمر قد ورد بيانه فيما سبق، معنى ذلك أن الإنسان يُلام على هجره أهل ودّ والده أو أهل ودّ أمه نفسهم أو أبناءهم، المفروض أن يكون منه وصل لهم على ما يتيسر وسيتبين هذا أكثر في الباب الذي يليه.

22- بَابُ الْوُدُّ يُتَوارَثُ

43- حَدَّثَنَا بِشْرُ بْنُ مُحَمَّدٍ، قَالَ: أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللهِ، قَالَ: أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ فُلاَنِ بْنِ طَلْحَةَ، عَنْ أَبِي بَكْرِ بْنِ حَزْمٍ، عَنْ رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ -صلّى الله عليه وسلّم- قَالَ: كَفَيْتُكَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ -صلّى الله عليه وسلّم- قَالَ: (إِنَّ الْوُدَّ يُتَوارَثُ).

شرحُ الكلمات:

- يُتوارث: إطلاق الإرث على غير المال مجاز، كما قال تعالى: {وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ} (النمل: 16).

هنا إشارة إلى ما مضى من الكلام وهو أن (الْوُدُّ يُتَوارَثُ) يعني: يرثه الفروع من الأصول جيل بعد جيل وقرن بعد قرن إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، يرث الأقرباء بعد موروثهم من كان يحبهم الآباء، لذا ينصح الآباء والأمهات أن يحبوا المتقين لأجل أن يرث الأبناء ودّ أهل التقوى ومواصلتهم والتعلم منهم.

وفي رواية أخرى: (الْوُدُّ يُتَوارَثُ وَالْعَدَاوَةُ تُتَوارَثُ)، فعاد أيضًا أهل الفجور لأن أوثق عُرى الإيمان الحب والبغض في الله فأنت تنتفع من هذا عاجلًا في القُرب من أهل الإيمان والبُعد عن أهل الفجور، وآجلًا أن أولادك يرثون هذا منك فينتفعوا كما انتفعت ويحذروا كما حذرت، وهذا الحديث فيه ضعف لكن المعنى صحيح.

فِقهُ الحديث:

1) فيه الحث على محبة المتقين وعلى بُغضِ الفجرة ليرثه عنك أولادك فينتفعوا في الدنيا والآخرة.

2) فيه تحذير عن بُغض أهل الصلاح فإنه يضر في الدارين ويرثه الأعقاب فيضرهم.

أنت لا تهاون بمن تظهر محبتهم وبمن تظهر بغضهم فإن الودّ يتوارث.

23- بَابُ لاَ يُسَمِّي الرَّجُلُ أَبَاهُ، وَلاَ يَجْلِسُ قَبْلَهُ، وَلاَ يَمْشِي أَمَامَهُ

-هنا ضبط لمسالك الأبناء مع آبائهم-

44- حَدَّثَنَا أَبُو الرَّبِيعِ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ زَكَرِيَّا، قَالَ: حَدَّثَنَا هِشَامُ بْنُ عُرْوَةَ، عَنْ أَبِيهِ -أَوْ غَيْرِهِ- أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ أَبْصَرَ رَجُلَيْنِ، فَقَالَ لأَحَدِهِمَا: مَا هَذَا مِنْكَ؟ فَقَالَ: أَبِي، فَقَالَ: «لاَ تُسَمِّهِ بِاسْمِهِ، وَلاَ تَمْشِ أَمَامَهُ، وَلا تَجْلِسْ قَبْلَهُ».

-هذه النصائح من أبي هريرة رضي الله عنه-

شرحُ الكلمات:

- ما هذا منك: أي: ما قرابة هذا منك.

هم يسيرون معًا ونتيجة مشيهم بهذه الطريقة لا يدري ما قرابتهم! فنصحه هذه الثلاث نصائح، قال:

- (لا تُسَمِّهِ بِاسْمِهِ) والأبناء اليوم من المُزاح أو رفع الكُلفة بينهم ينادونهم بأسمائهم أو يدلعونهم بألقاب، وهذا خلاف ما تأمر به الشريعة، وتكون الأم موافقة لكن حتى لو حصل هذا لا يصح.

- (وَلا تَمْشِ أَمَامَهُ) لأن هذا فيه نوع إهمال له إنما سر بجانبه أو خلفه لترقبه خصوصًا لو كان الابن شابًا والأب كبيرًا في السن فيتعثر فلا تسر أمامه لأن هذا نوع إهمال.

- (وَلا تَجْلِسْ قَبْلَهُ) لا بد أن تطمئن أنه جلس وهذا يكون مع الوالدين ومع كل من يوقر من العلماء ومن يكون لهم شأن.

لكن لأننا ورثنا الطريقة العلمانية التي لا أحد فيها مقدس ولا محترم، وأيضًا اجتمع مع ذلك فهم خاطئ لمسألة الغلو، فصار الأبناء يتعاملون مع والديهم والطلبة مع مشايخهم كأنهم أصغر صغير عندهم، وكل هذا خلط في الأمور.

التقديس يقصد به: إنزال كل واحد منزله، فهم ابتدؤوا من مقام الرب -سبحانه وتعالى- فمن الطبيعي أن ينتهي الأمر عند الوالدين فلا يعطونهم حقوقهم ويعملون لهم يوم ليحتفلوا بهم فيه فقط، وما زاد الطين بله أن هذا الأمر وافقه مسألة الخوف من الغلو، فغلو في الخوف من الغلو.

فلو انتبه للعلماء يقولون: ما بقي إلا أن تعبدوهم، الشيخ بن باز -رحمه الله- ما كان يُقَال له إلا (يا سماحة الوالد) بسبب سنه وبسبب ما كان عليه من الأخلاق الأبوية، رياح العلمنة كانت حريصة على نزع هذه المعاملة من الشيخ، لا بارك الله في علم أي أحد يهين العلماء فهو من الجرائم التي يرتكها طلبة العلم على أساس أن لا يقعوا في الغلو.

رحم الله علماءنا ورفع قدرهم في الدنيا والآخرة وقهر أعداءهم ونشر علمهم، وجعلنا ممن يحترمهم ويحبهم ويتقرب إلى الله بذلك وهم بالنسبة لنا في منزلة الوالد لأولاده لما في قلوبهم من محبة وشفقة ورحمة، أهم من شفقة الوالدين على أولادهم، العلماء أبعدونا كل البعد عن الشرك وعن النار وأسبابها بما أرشدوا، نسأل الله -عزّ وجلّ- لهم الدرجات العُلا من الجنة وأن يتقبل أعمالهم ويغفر لهم ذنوبهم وأن ينور على من مات منهم قبره وأن يفسح له فيه، ونسأل الله -عزّ وجلّ- لهم الثبات على الحق والرفعة وأن ينشر علمهم ويكثر محبيهم ويعمر مجالسهم ويجعلهم قبلة الناس، اللهم اقهر العلمانيين وكل من يسير سيرهم، خاصة لمن يُسيء إلى علماء السنة الموحدين الناشرين للحق اللهم آمين.

فِقهُ الحديث:

1) فيه الترغيب في توقير الوالد، وذلك بعدم تسميته والمشي أمامه وعدم الجلوس قبله في المجالس والمحافل.

بين أن هذا في المجالس والمحافل، أين يذهب والدك ومن يجلسه؟! لهذه الدرجة هناك دقة في مسألة توقير الوالدين.

24- بَابُ: هَلْ يُكَنِّي أَبَاهُ؟

45- حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ شَيْبَةَ قَالَ: أَخْبَرَنِي يُونُسُ بْنُ يَحْيَى بْنِ نُبَاتَةَ، عَنْ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ مَوْهَبٍ، عَنْ شَهْرِ بْنِ حَوْشَبٍ قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ ابْنِ عُمَرَ، فَقَالَ لَهُ سَالِمٌ: (الصَّلاَةَ! يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ).

شرحُ الكلمات:

- سالم: ابن عبد الله بن عمر.
- أبو عبد الرحمن: كنية عبد الله بن عمر، عبد الرحمن أكبر أبنائه؛ لذا كُنّي به، وابنه سالم ناداه بكنيته.

سالم ابن ابن عمر، وكان من أحب عبد الله له، وله مواقف كثيرة في السير بينه وبين سالم تحتاج إلى الجمع والتأمل فيها، لكن هنا موقفنا يجيب على سؤال: هل يكنّي الرجل أباه؟

كنية عبد الله بن عمر: أبو عبد الرحمن، وهذا جزء من قصة فكانوا في سفر وأتى وقت الصلاة، فقال لأبيه: (الصَّلاةَ! يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ) وهؤلاء الصحابة والتابعين تؤخذ منهم المسالك، فلما ناداه سالم بهذه الكنية عُلم أنه يجوز، لا أناديه باسمه لكن أناديه بكنيته لأن الأصل في النداء بالكنية التعظيم.

المجتمع المسلم البعيد عن التغريب الفكري هذا اسمه: "أبو فلان" وهذه اسمها: "أم فلان" فعندما يدخل التغريب الفكري تستحي أن تقول: أنا أم فلان، كأنها تقول: أنا فخورة باسمي، مستقلة، الدول التي دخلت في الفكر العلماني قليل جدًا من يكنى باسم (أبو و أم)، لكن الكنية في الإسلام من الأمور المعلومة الدالة على التوقير، ويُكني الرجل والده بدليل أن سالم بن عمر كنى والده وقال: (يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ).

46- قَالَ أَبُو عَبْدِ اللهِ يَعْنِي: الْبُخَارِيَّ: حَدَّثَنَا أَصْحَابُنَا، عَنْ وَكِيعٍ، عَنْ سُفْيَانَ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ دِينَارٍ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: (لَكِنْ أَبُو حَفْصٍ عُمَرُ قَضَى).

نفس هذا الموقف حصل من ابن عمر لوالده عمر، كانوا في نقاش وقال ابن عمر: (لَكِنْ أَبُو حَفْصٍ عُمَرُ قَضَى)، يقصد بذلك والده، الشاهد أنه قال: (أَبُو حَفْصٍ) فدل ذلك على أنه يجوز تكنية الوالد.

شرحُ الكلمات:

- أبو حفص: كنية عمر بن الخطاب، ذكره ابنه عبد الله بكنيته.

فِقهُ الأثرين:

1) الحديثان يدلّان على أنّ المرء له أن ينادي أو يذكر أباه بكنيته، وأنّ فيه نوعًا من الإكرام لأبيه والتأدب معه، إذ لم يذكره باسمه كأيّ شخص آخر يناديه أو يذكره باسمه.

نهاية الجزء الأول

فهرس الجزء الأول

اللّقاء الأوّل	1
1-بَابُ قَوْلِهِ تَعَالَى: {وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا} (العنكبوت: 8)	3
اللّقاء الثّاني	9
2- بَابُ بِرّ الأمّ.	12
3-بَابُ بِرِّ الابِ	16
4-بَابُ بِرِّ وَالِدَيْهِ وَإِنْ ظَلَمَا	17
اللّقاء الثّالث	19
5-بَابُ لِينِ الْكَلامِ لِوَالِدَيْهِ	20
6-بَابُ جَزَاءِ الْوَالِدَيْنِ	25
اللّقاء الرّابع	29
7-بَابُ عُقُوقِ الْوَالِدَيْنِ	35
اللّقاء الخامس	39
8-بَابُ لَعَنَ اللَّهُ مَنْ لَعَنَ وَالِدَيْهِ	43
اللّقاء السّادس	47
9-بَابُ يَبَرُّ وَالِدَيْهِ مَا لَمْ يَكُنْ مَعْصِيَةً	48
10-بَابُ مَنْ أَدْرَكَ وَالِدَيْهِ فَلَمْ يَدْخُلِ الْجَنَّةَ	54
11-بَابُ مَنْ بَرَّ وَالِدَيْهِ زَادَ اللَّهُ فِي عُمْرِهِ	56
اللّقاء السّابع	58
12- بَابُ لاَ يَسْتَغْفِرُ لأَبِيهِ الْمُشْرِكِ	59
13- بَابُ بِرِّ الْوَالِدِ الْمُشْرِكِ	61
اللّقاء الثّامن	68
14- بَابُ لاَ يَسُبُّ وَالِدَيْهِ	69
15- بَابُ عُقُوبَةِ عُقُوقِ الْوَالِدَيْنِ	71
16- بَابُ بُكَاءِ الْوَالِدَيْنِ	75
17- بَابُ دَعْوَةِ الْوَالِدَيْنِ	75
اللّقاء التّاسع	81
18- بَابُ عَرْضِ الإِسْلاَمِ عَلَى الأُمِّ النَّصْرَانِيَّةِ	82
19- بَابُ بِرِّ الْوَالِدَيْنِ بَعْدَ مَوْتِهِمَا	84
اللّقاء العاشر	90
20- بَابُ بِرِّ مَنْ كان يَصِلُهُ أبوه	96

اللّقاء الحادي عشر 99
21- بَابُ لاَ تَقْطَعْ مَنْ كَانَ يَصِلُ أَبَاكَ فَيُطْفَأَ نُورُكَ 100
22- بَابُ الْوُدُّ يُتَوَارَثُ 101
24- بَابُ: هَلْ يُكَنِّي أَبَاهُ؟ 104